مجلة جامعة البعث

سلسلة الآداب و العلوم الانسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 43 . العدد 28

1442 هـ - 2021 م

الأستاذ الدكتور عبد الباسط الخطيب

رئيس جامعة البعث

المدير المسؤول عن المجلة

أ. د. ناصر سعد الدين	**رئيس هيئة التحرير**
أ. د. هايل الطالب	**رئيس التحرير**

مديرة مكتب مجلة جامعة البعث

بشرى مصطفى

د. محمد هلال	**عضو هيئة التحرير**
د. فهد شريباتي	**عضو هيئة التحرير**
د. معن سلامة	**عضو هيئة التحرير**
د. جمال العلي	**عضو هيئة التحرير**
د. عباد كاسوحة	**عضو هيئة التحرير**
د. محمود عامر	**عضو هيئة التحرير**
د. أحمد الحسن	**عضو هيئة التحرير**
د. سونيا عطية	**عضو هيئة التحرير**
د. ريم ديب	**عضو هيئة التحرير**
د. حسن مشرقي	**عضو هيئة التحرير**
د. هيثم حسن	**عضو هيئة التحرير**
د. نزار عبشي	**عضو هيئة التحرير**

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة البعث

سورية . حمص . جامعة البعث . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.albaath-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : magazine@ albaath-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

قيمة العدد الواحد : 100 ل.س داخل القطر العربي السوري

25 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

قيمة الاشتراك السنوي : 1000 ل.س للعموم

500 ل.س لأعضاء الهيئة التدريسية والطلاب

250 دولاراً أمريكياً خارج القطر العربي السوري

توجه الطلبات الخاصة بالاشتراك في المجلة إلى العنوان المبين أعلاه.

يرسل المبلغ المطلوب من خارج القطر بالدولارات الأمريكية بموجب شيكات باسم جامعة البعث.

تضاف نسبة 50% إذا كان الاشتراك أكثر من نسخة.

شروط النشر في مجلة جامعة البعث

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (الآداب – الاقتصاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

. كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي . العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشر في المجلة يدل ضمناً على عدم نشره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة . الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة . سنة النشر . وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة . دار النشر وتتبعها فاصلة . الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

. بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة . المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة . أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد

بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة البعث

1. **دفع رسم نشر (20000) ل.س عشرون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (50000) ل.س خمسون الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (3000) ل.س ثلاثة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
دور التنشئة السياسية في تكوين الوعي السياسي للشباب	بشرى رفيق عوض د. أسامة محمد	30-11
الطبقات الاجتماعية في الدولة المرابطية (448- 541هـ/ 1056-1147م)	عامر الشدود د. رندة عباس	64- 31
المركّب الاستعاريّ وتوليد المدلولات في نماذج مُتخيَّرة من خُطب نهج البلاغة	عبد اللطيف ياسين سليمان د.زكوان العبدو د. تيسير جريكوس	94-65
العَامِلُ النَّحْويُّ عندَ المَرزُوقِي ت 421 هـ	عبد الله اليونس د.سمير معلوف د. عصام الكوسى	132-95

دور التنشئة السياسية في تكوين الوعي السياسي للشباب

*الدكتور: أسامة محمد

بشرى رفيق عوض

ملخص

هدف البحث الى التعرف على أبرز مؤسسات التنشئة السياسية إذ إن للوعي السياسي مؤسسات متعددة تقوم بتطوير قدرات الشباب ومساعدتهم وتنشئتهم سياسياً، وتزيد من فهمهم لوضع بلدهم و قدرتهم على التحليل السياسي وفهم مجريات الساحة السياسية على الصعيد المحلي والعالمي ، وبالتالي تؤدي دوراً سياسياً مهماً كونها مصدراً يستقي منه الشباب معلوماته السياسية، والتعايش مع هذه المؤسسات يسهم في التثقيف السياسي للشباب، ليصبح لهم حضور سياسي فاعل ودور في قيادة الرأي العام ، وبالتالي تحقيق طموحاتهم ورفع مستوى المجتمع في شتى قطاعاته.

وتوصلت الباحثة الى العديد من النتائج والتوصيات أبرزها التركيز على تنمية الوعي السياسي للشباب كونهم طاقة كبيرة يجب استثمارها وعدم إقصائهم عن العمل السياسي، بل إشراكهم به لتعزيز الحرية والديمقراطية ، ويتم ذلك عن طريق تفعيل دور مؤسسات التنشئة السياسية وخلق مساحة من الحوار والسماح لهم بقيادة الرأي العام وتثقيفهم سياسيا فهم المستقبل الواعد.

الكلمات المفتاحية: التنشئة السياسية، الوعي السياسي.

*– أستاذ مساعد – قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

*– طالبة دراسات عليا (دكتوراه) – قسم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين – اللاذقية – سوريّة.

The role of political upbringing in shaping the political awareness of yuonth

***Dr : osamamohmmad**
***Boushra Rafek Awad**

Abstract

The aim of the research is to identify the most prominent institutions of political upbringing, as political awareness has many institutions that develop the capacities of young people, help them and educated them politically, and increase their understanding of the situation of their country and their ability to analyze politics and understand the course of the political arena at the local and global levels.
Therefore, it plays an important political role as it is a source from which young people drow their political information , and coexistence with these institution contributes to the political education of young people, so that they have an active political presence and a role in leading public opinion, thus achieving their aspirations and raising the level of society in its various sectors.
The researcher reached many results and recommendations, most notably focusing on developing political awareness for young people, as they are a great energy that must be invested and not excluded from political work, but rather involve them in it to promote freedom and democracy politically, since they are the promising future

Key Words: political upbringing, political awareness

-Associate Professor, Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia,Syria.
-Postgraduate Student, , Department of Sociology, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia,Syria.

المقدمة:

يعد الوعي السياسي لدى الأفراد الخطوة الأولى والأساس الذي تبنى عليه المشاركة السياسية، ولذلك فان لبناء الرعي السياسي وزيادة معرفة الأفراد أثراً مهماً لبناء مجتمع واعٍ سياسياً، ويتم ذلك من خلال التنشئة السياسية لهم وتزويدهم بالمعلومات حول الوضع السياسي بما يسهم في تكوين ثقافتهم السياسية ووعيهم السياسي، وتتنوع مصادر التنشئة السياسية بين مصادر مباشرة ومصادر غير مباشرة وجميعها يهدف الى مساعدة الشباب في تشكيل رأي إزاء القضايا السياسية المطروحة على الساحة ومجريات الأمور التي تدور في بلادهم، وأن يكونوا على دراية بالأوضاع الجارية ليستطيعوا قيادة الرأي العام بالمستقبل ويسهموا في بناء مجتمعهم السياسي ، فعلى الأفراد أن يكون لديهم على الأقل معلومات سياسية عامة لفهم الواقع من حولهم، وليصبحوا فيما بعد فعالين في صنع القرار، وتكوين وعيهم السياسي لأن الوعي السياسي من الأمور المهمة التي يجب أن يمتلكها الفرد، وخاصة في الظروف الحالية التي يمر بها العالم أجمع والتي تفرض على الفرد أن يكون لديه المام بالواقع السياسي العام ليتمكن من معرفة ماله وما عليه من حقوق وواجبات، وبدون الوعي السياسي سيحدث خلل في عملية التطوير الديمقراطي والسياسي والمجتمعي، لذلك يجب الاهتمام بالتنشئة السياسية للأفراد التي تمكنهم من فهم الواقع من حولهم.

أولاً: مشكلة البحث وأهميته:

إنّ الوعي السياسي عملية مستمرة يكتسب خلالها الفرد قيماً وسلوكيات سياسية متعددة، ويتم ذلك عن طريق مؤسسات متعددة للتنشئة السياسية التي يكمل كل منها دور الآخر (كالأسرة، والمدرسة، الأحزاب السياسية، وسائل الاعلام وغيرها)، فالفرد يبدأ باكتساب قيمه واتجاهاته من وسطه والمؤسسات التي يتعايش معها ، والتي تتيح له مستقبلا المشاركة السياسية وتوسع الرؤى السياسية لديه وفهم ما يجري حوله من تغييرات، إذ تعمل مؤسسات التنشئة السياسية على تفعيل دور الشباب سياسيا وتفتح المجال أمامه للانتساب للأحزاب السياسية، ليصبح فاعلاً ومشاركاً في صناعة التغيير وقيادة الرأي العام، كما تؤدي تنمية الوعي السياسي الى تعبئة الشباب وراء آراء سياسية معينة وبالتالي التأثير على سلوكيات الشباب السياسية، وتطوير الإطار الثقافي في المجتمع وتكوين فكر ورأي حول ما يحدث، فعند امتلاك الوعي يصبح الشباب أكثر قدرة على تحليل مشكلات مجتمعهم وايجاد حلول لها وبالتالي النهوض بالمجتمع .

فما المقصود بالوعي السياسي ؟ وماهي أبرز مؤسسات التنشئة السياسية التي تؤدي دوراً بارزاً في تكوين الوعي السياسي للشباب؟ وما دور التنشئة السياسية في تكوين الوعي السياسي للشباب ؟

وتأتي أهمية البحث من كونه يعنى بدراسة دور مؤسسات التنشئة السياسية في تكوين الوعي السياسي للشباب، فمؤسسات التنشئة السياسية المباشرة وغير المباشرة تعد مصدراً أساسياً في تكوين الوعي السياسي لدى الشباب، إذ إنها تعدّهم سياسياً، ليكونوا أشخاص فاعلين في صناعة القرار والتغيير، و ليصبحوا قادرين على تحديد اتجاهاتهم في الحياة السياسية واتخاذ مواقف تجاه ما يجري من أحداث حولهم على الصعيد المحلي والعالمي، إضافة الى الوصول إلى مجموعة من التوصيات والمقترحات التي تؤكد على تفعيل دور مؤسسات التنشئة السياسية للاستفادة المثلى منها، ولتقديم كلّ الدعم لفئة الشباب وإشراكهم في صناعة الواقع السياسي.

ثانياً: أهداف البحث:

يهدف البحث الى التعرف على دور التنشئة السياسية في تكوين الوعي السياسي للشباب.

-التعرف على مفهوم الوعي السياسي .

-التعرف على أبرز مؤسسات التنشئة السياسية التي تسهم في تكوين الوعي السياسي للشباب.

-التعرف على دور الأسرة في تكوين الوعي السياسي للشباب.

-التعرف على دور المدرسة في تكوين الوعي السياسي للشباب.

-التعرف على دور الأحزاب السياسية في تكوين الوعي السياسي للشباب.

-التعرف على دور وسائل الأعلام في تكوين الوعي السياسي للشباب .

ثالثاً: مصطلحات البحث وتعريفاته الإجرائية:

– التنشئة السياسية: " انها العملية التي تتشكل بها الثقافة السياسية ولدى كل نظام هياكل مهمة تنظيمية تنفذ مهمة التنشئة السياسية وتلقن المبادئ السياسية التي تحتوي على قيم سياسية وتوجيه المهارات السياسية للمواطنين والنخب معا"[1]

– التعريف الإجرائي للتنشئة السياسية: التنشئة السياسية هي جملة من المعلومات والمبادئ السياسية التي تقدم عبر مؤسسات التنشئة السياسية، لتساعد الشباب على صنع القرار السياسي وتعزيز قيم الولاء والانتماء لديهم.

الوعي السياسي: "مجموعة من الأفكار والمعلومات التي لدى الفرد، تتعلق بمجتمعه أو المجتمع الخارجي وتدور حول الموضوعات السياسية المختلفة، وإن هذه المعلومات والمعارف تكتسب من خلال الثقافة السياسية التي تنتقل للفرد عبر عملية التنشئة السياسية بواسطة المؤسسات الاجتماعية المختلفة" 2

التعريف الإجرائي للوعي السياسي : ويقصد به إلمام الشباب بقضايا مجتمعهم ومحيطهم الإقليمي والعالمي، ومعرفة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية واتخاذ موقف مما يجري حولهم .

[1] محمد، عبد اللطيف محمود، التنشئة السياسية للطفل رهان المستقبل للحفاظ على الهوية القومية، مصر، 2006،ص5.

2 شكري، إمام، الإعلام العربي والوعي السياسي للمراهقين، ط1، مركز الإسكندرية، الإسكندرية،2009،ص125.

الإطار النظري للبحث:

أولاً: مفهوم الوعي السياسي:

يعدّ الوعي السياسي المرتكز الأساس للوعي بكل أنواعه، فالوعي هو اكتساب الشباب لخلفية معرفية وقدرة على تحليل القضايا ومجريات الأحداث حولهم، وهناك تعاريف متعددة للوعي السياسي، منها أن الوعي السياسي "هو الإدراك الصحيح لمجريات الواقع السياسي، ولما يحصل فيه من أحداث وتطورات، وبعبارة أخرى هو المعرفة الدقيقة لغايات القوى المؤثرة في العالم المحيط بنا ومعرفة الأهداف وراء مواقفها وتحركاتها ومشاريعها" [1]

إن الوعي السياسي يرسخ الشعور بالانتماء للوطن، وتنمية القدرات لدى الشباب على التحليل السياسي وفهم التغيرات التي تدور في العالم، ويرى محمد حجازي أن الوعي السياسي "هو القدرة على إدراك المنهج القويم لفهم القضايا والمشكلات الاجتماعية التي يصادفها المرء في حياته" [2]

ومن التعاريف أيضا " إن الوعي السياسي يعمل على تحليل الأحداث بصورة موضوعية وعلمية بعيدة عن العواطف وتأثيرات البيئة إذ يساعد الوعي السياسي الشباب على فهم المحيط الذي يعيش فيه وتحليل الأمور السياسية من زوايا متعددة بحيث يعطي الواقع مشهدا علمياً وأكاديمياً" [3]

كلّ ما سبق من تعاريف تؤكد أن امتلاك الوعي السياسي يساعد على فهم ما يجري حولنا من أحداث ومتغيرات على السّاحة السياسية والعامة ويرسخ انتماء الشباب لبلدهم ويساعدهم ليكونوا شركاء في صناعة القرار وصناعة التغيير.

وهناك تعريف آخر يؤكد على أن الوعي السياسي "هو معرفة الطالب بالقادات والمؤسسات وإدراكه للقضايا السياسية على المستويات المحلية والإقليمية، والدولية، وكذلك ممارسته لبعض الأنشطة السياسية المباشرة مثل الترشيح للاتحادات الطلابية والتصويت في انتخابات اتحاد الطلبة والانتخابات العامة والانضمام لأحد الأحزاب، أو غير المباشرة مثل قراءة الصحف والمجلات.

[1] حمادة، عمار، الوعي والتحليل السياسي، ط1، دار الهادي للنشر، بيروت، 2005، ص19.
[2] حجازي، محمد، الوعي السياسي في العالم العربي،ط1، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، 2007،ص208.
[3] الظاهر، نعيم ابراهيم، مدخل الى العلوم السياسية،ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2015،ص181.

ومتابعة نشرات الأخبار والمشاركة في مشروعات خدمة البيئة وحضور الندوات والمعسكرات وغيرها" [1]

إن الوعي السياسي يعمل على فهم الشباب للواقع الاجتماعي وإدراكه للمشكلات المتعلقة به سياسيا، وبالتالي فإن الوعي السياسي مجموعة من القيم والأفكار التي يكتسبها الشباب من مؤسسات التنشئة التي تساعدهم على فهم وإدراك حقوقهم السياسية وأيضا واجباتهم وتجعلهم مشاركين في صناعة التغيير للوصول الى الديمقراطية.

ومن بين أهم محددات الوعي السياسي نجد: " وعي الشباب بالمعارف السياسية، ووعي الشباب بقضايا المجتمع ومشكلاته، ووعي الشباب بالمشاركة السياسية، أي إدراكه للعملية السياسية و كيفية المشاركة فيها، ليصبح ذا تأثير في البنية الاجتماعية ومن هنا فإن تنمية الوعي السياسي والثقافة السياسية من شأنهما الرفع من كثافة المشاركة السياسية التي تعد نتاجاً للتنشئة السياسية بما فيها مصادرها، أي مؤسسات التنشئة التي تعد مصدراً من مصادر اكتساب الوعي " [2]

إن الوعي السياسي ضروري في إحداث التنمية من خلال تعزيز رؤية الشباب لقضايا وطنهم والظروف التي تؤثر فيه بصورة تحليلية واعية وتعبئته سياسياً وثقافياً، ويعد طريقا مهماً للوصول إلى الديمقراطية وقيام نهضة حضارية " فقوة الوعي السياسي للمجتمع هي قوة لسياسة الدولة واستقرارها السياسي وقوة لبنائها الاقتصادي والثقافي والاجتماعي وبالتالي توحد أفراد المجتمع مع مؤسسات الدولة في تحقيق الأهداف، وتلاشي المشاكل الاجتماعية وعدم هدر الأموال في الاصلاح والبناء الاجتماعي والاقلال من الخسائر المادية والتكاليف المتنوعة التي تخصصها الدولة لمعالجة المشاكل الاجتماعية مما يرفع نسبة النفقات العامة في جانب يبطىء مسيرة التقدم والتطور في البناء، ففي تطور الوعي السياسي لأبناء المجتمع يتم تجنب المصادر الهدامة ويتم التقرب من المظاهر البناءة فيتم تخصيص النفقات العامة لنفقات حقيقية إنتاجية" [3]

---

[1] الحويلة، هايف هادي، "الوعي السياسي لدى طلبة جامعة الكويت وعلاقته ببعض المتغيرات المجتمعية"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد143، 2009،ص583.

[2] ألموند، جبرييل، السياسيات المقارنة في وقتنا الحاضر، ترجمة: هشام نصار، دار الأهلية، مصر،1998،ص55.

[3] الحسن، احسان محمد، علم الاجتماع السياسي، ط4، دار وائل للنشر، الأردن،2013،ص151.

إن الوعي السياسي يقود للاستثمار الجيد وعدم هدر الاموال ويسهم في ازدهار البلاد وتطورها وانفتاح المجتمع. فماهي خصائص الوعي السياسي ؟

للوعي السياسي خصائص ومميزات نجملها بمايلي:

. الوعي السياسي ادراك قائم على الاحساس بالمجتمع .

. يتكون الوعي السياسي بمعرفة المشكلات السياسية والأسباب والآثار المترتبة عليها.

. الوعي السياسي هو خطوة مهمة في تكوين الاتجاهات السياسية والسلوك السياسي.

. يتوقف الوعي السياسي للفرد على ثقافته السياسية، حيث يتكون نتيجة ما يتوافر للفرد من معرفة وفهم للأمور.

.ينمو ويتطور هذا الوعي خلال سنين عمر الفرد المختلفة، ليصبح محصلة للمؤثرات الثقافية التي يتعرض لها الفرد.

.يعتمد الوعي السياسي على الإدراك بصفة أساسية إذ إن الإدراك عملية عقلية يقوم الفرد من خلالها بعملية انتقاء الفرد للمعلومات وتنظيمها وتفسيرها.

.يتلازم المكون المعرفي والمكون الوجداني، حيث إن الوعي ينبع من الوجدان ومشبع بالمعرفة.[1]

من كل ما تقدم نجد أن الوعي السياسي ضرورة ووسيلة في تفعيل السلوك السياسي والديمقراطي في المجتمع، وأداة مهمة في ترسيخ مبادئ الحرية والديمقراطية.

ثانياً: تعريف التنشئة السياسية :

تشغل التنشئة السياسية أهمية كبيرة في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية والسياسية كونها إحدى موضوعات التقاء الاجتماعي بالسياسي، ومن خلال التنشئة يتم إعداد الإنسان السياسي، وتعددت تعاريف التنشئة السياسية منها" إن التنشئة السياسية هي التلقين الرسمي وغير الرسمي المخطط وغير المخطط للمعارف والقيم والسلوكيات وخصائص الشخصية ذات الدلالة السياسية وذلك في كلّ مرحلة من مراحل الحياة عن طريق المؤسسات المختلفة في المجتمع"[2]

[1] الفردي، عبدالله بن علي، الوعي السياسي في الإسلام،ط1، دار طويق للنشر، الرياض،2010،ص67-68.

[2] أبراش، ابراهيم، علم الاجتماع السياسي، ط1، دار الشروق، عمان، 2011،ص113

إن عملية التنشئة السياسية من الأمور المهمة التي تؤدي الى النضوج السياسي، وتبدأ من خلال التثقيف السياسي منذ مراحل الصغر وفي مراحل التعليم المختلفة وعن طريق أساليب متعددة هدفها التنشئة السياسية وزيادة المعرفة السياسية للشباب ومن أبرز تعاريف التنشئة السياسية لصاحبه "هربرت هايمان" الذي عرفها بأنّها " اكتساب المواطن الاتجاهات والقيم السياسية التي يحملها معه حينما يجند في مختلف الأدوار الاجتماعية"[1]

كما تعرف التنشئة أيضا "بأنها عملية تشكيل الوعي السياسي عند الأفراد أي مجمل العمليات التي يتم من خلالها إكساب الفرد سلوكيات ومعايير وقيم واتجاهات سياسية متناسبة مع أدوار مجتمعية معينة وتعد مرحلة الشباب هي أهم مراحل التنشئة السياسية الإيديولوجية بحكم السمات العامة لهذه المرحلة، إذ تبدأ من خلالها مواقف الفرد السياسية بالتكون وتعرف أيضاً على أنها "عملية تنموية يتم من خلالها اكتساب المعرفة وتكوين المواقف والقيم وتشكيل الثقافة السياسية والمحافظة على تغييرها بواسطة وسائل الاتصال"[2]

إذاً كل التعاريف تؤكد أن عملية التنشئة من الامور المهمة التي تسهم في تنشئة الأفراد تنشئة سياسية سليمة منذ الصغر، وأنها من أهم السبل والوسائل الكفيلة باكتساب الوعي السياسي وامتلاك القدرة على تحليل المواضيع تحليلاً سياسياً موضوعياً وأكاديمياً، فالإنسان منذ ولادته يعايش مؤسسات مختلفة، وهذه المعايشة تؤدي الى اكتسابه العديد من المعلومات والمعارف والقيم ، والمواقف التي تؤثر على سلوكه السياسي. إن هناك مراحل لعملية التنشئة السياسية "اولها مرحلة يتحدد وفقا لها انتماء الطفل لثقافة نظام معين، وثانيها مرحلة يتفهم فيها الطفل هويته، ويطور وعيه بالعالم السياسي وبالأحداث السياسية و وثالثها مرحلة يتجاوز فيها الفرد دور المراقب ليشارك مشاركة فعلية بالحياة السياسية من خلال عمليات التصويت وتولي المناصب السياسية"[3]

لذلك فإن عملية التنشئة السياسية للشباب و تنمية الوعي السياسي لديهم من الأمور المهمة التي توليها الدول الديمقراطية ، اهتماماً بالغاً فالتنشئة السياسية تؤدي إلى نضوج الوعي السياسي وكل مرحلة من مراحل التنشئة تكمل بعضها ببعض، و "تعدّ عملية التنشئة السياسية بمنزلة تلقين لقيم سياسية وقيم اجتماعية ، ذات دلالة سياسية، والتنشئة السياسية بهذا المعنى

[1] منوفي، كمال، التنشئة السياسية في الفقه السياسي المعاصر، ط1،القاهرة،1974،ص176.
[2] داوسن، ريتشارد وآخرون، التنشئة السياسية، ترجمة: عبدالله ابو القاسم خشيم، جامعة قارينوس، ليبيا،1999،ص18.
[3] رشاد، عبدالغفار، الراي العام:دراسة في النتائج السياسية، دار الأصدقاء، المنصورة،1980،ص83.

جزء من التنشئة الاجتماعية ، وهي عملية يتعرض لها المرء طيلة حياته ، وتمتلىء بالقيم التي تتشابك وتكون شبكة اجتماعية من القيم تؤثر على سلوك واتجاهات الفرد"[1]

مما تقدم نجد ان هناك مؤسسات للتنشئة السياسية تسهم في تكوين الوعي السياسي والقيم والاتجاهات الفكرية والايديولوجية لدى الشباب والتي تؤثر في سلوكه السياسي وممارساته اليومية ، ولعل ابرز هذه المؤسسات هي :

ا- الأسرة : تعدّ الأسرة اللبنة الأساسية في بناء المجتمع ،وهي أول مؤسسة يتلقى منها الطفل المبادئ الأولى التي تمكنه من التكيف مع مجتمعه ، "فداخل الأسرة يبدأ الفرد باكتساب اتجاهات وأفكار جديدة ، فهي المصدر الأول الذي يتلقى منه المعلومات والقيم والمعتقدات السياسية" حيث يبدأ الطفل في اكتساب الوعي بنفسه ككائن حي له معتقدات ذاتية و وكذلك اكتساب الوعي السياسي بالوسط الاجتماعي الذي يحيط به"[2]

وبالتالي فإن بعض الأسر هي المصدر الأول للمعلومات والمعتقدات السياسية " فعلى الرغم من تعدد وكالات التطبيع السياسي والاجتماعي والجماعات و التي تؤثر في توعية الطفل الا أن الأسرة من أهم الوكالات التي تقوم بهذه العملية "[3]

مما سبق نجد ان الأسرة إذا كانت تمتلك وعياً وثقافة سياسية تصبح منبعا أساسيا للتنشئة السياسية وتعمل على خلق مساحة لابنائها من خلال السماح لهم بالمناقشة والحوار ، وقبول ارائهم ، وبالتالي تسهم بشكل كبير بدعم الوعي السياسي لديهم وتطويره.

ويتم ذلك من خلال مراحل عدة اهمها :

" 1- تقوم الاسرة بنقل التوجهات السياسية لأبنائها من خلال النقاش والتعبير عن وجهات النظر ، والمشاركة في الحياة السياسية ، وتنمية الاحساس الايجابي بالمواطنة .

2- نقل توجهات لها تأثير سياسي غير مباشر، يتم ذلك من خلال العلاقات الشخصية داخل الاسرة ، بمعنى تعلم الأسرة الفرد التعامل مع الاخرين والقدرة على اتخاذ القرارات، فالدراسات الحديثة أكدت ان الفرد الذي يتعلم عدم الثقة بالآخرين يعكس ذلك على ثقته بالقيادات السياسية وبالتالي التأثير على عملية المشاركة السياسية للفرد "[4]

---

[1] النجار، ابراهيم أحمد، "نحو دور فاعل للشباب في الحياة السياسية"، مجلة الديمقراطية، العدد6، القاهرة،2002. ص135.

[2] الظاهر، نعيم ابراهيم، مدخل الى العلوم السياسية، ط1، عالم الكتب الحديث، الاردن، 2015،ص186.

[3] الشربيني، زكريا، تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996،ص11.

[4] داوسن، ريتشارد وآخرون، التنشئة السياسية، ترجمة: عبدالله ابو القاسم خشيم، جامعة قارينوس، ليبيا،1999،ص132.

لذلك فإن للأسرة دوراً كبيراً في تنمية الوعي السياسي للفرد من خلال تثقيفه سياسياً وإكسابه مختلف المعارف السياسية، فهي الإطار المرجعي الأول للأبناء وأهم مؤسسة من مؤسسات التنشئة السياسية .

2. المدرسة:

يشغل التعليم مكانة واهتماماً كبيرين في أي مجتمع من المجتمعات، فالتعليم وسيلة مهمة تستخدمها المجتمعات المختلفة من أجل تدعيم ما تؤمن به من افكار ومبادئ، وفي العموم فإن النظام التعليمي يعمل على خدمة الأنظمة السياسية الحاكمة ، فالأنظمة تعتمد على المؤسسات التربوية في نشر المبادئ والوعي السياسي الذي يكرس النظام القائم ويعززه، وذلك من خلال:

1".تعليم المواطنة: وهو ذلك الجزء من التعليم السياسي الذي يبين كيفية المشاركة الجيدة للمواطن في الحياة السياسية.

2. التلقين السياسي الأيديولوجي: وهو يهتم بتعليم إيديولوجيا معينة للمواطن قصد قبول نظام حكم معين وبالتالي يتم نقل القيم السياسية إلى الطفل عن طريق مختلف النشاطات التي تحدث في المدرسة ، كما تعكس المدرسة حب الوطن للأفراد وتنمي نوعا ما من الإحساس بالارتباط في الجماعة وهو أحد مرتكزات الثقافة السياسية، فالفرد يشارك في مختلف النشاطات التي تحدث من خلال الجماعة التي أصبح مرتبطاً بها بشكل وثيق"[1]

إن المدرسة إحدى أدوات الوعي السياسي لدى الأفراد، وذلك من خلال التعليم وغرس الفضائل في نفوسهم، مثل حب الوطن، والانتماء ،وتدريس مواد لها علاقة بالسياسة التي تعمل على ترسيخ قيم معينة، ورفع سويتهم الثقافية، ووعيهم السياسي، فالمدرسة هي استمرار لدور الأسرة ومكملة له حيث تؤدي هذا الدور مستخدمة المناهج المدرسية والنشاطات التي تسهم بدورها في تثقيف الطالب اجتماعياً وسياسياً . "حيث تعد عاملا آخراً من عوامل التنشئة السياسية، فهي تسهم في اكتساب الوعي السياسي وتنشئة السلوك السياسي للفرد بعد العائلة، إذ تمثل دور المدرسة في صياغة الأفكار والاتجاهات الموجودة في المجتمع من خلال وسائلها وأدواتها المعروفة"[2]

[1] داوسن، ريتشارد وآخرون، التنشئة السياسية، ترجمة: عبدالله ابو القاسم خشيم، جامعة قاريونس، ليبيا،1999،ص133

[2] الظاهر، نعيم ابراهيم، مدخل الى العلوم السياسية، ط1، عالم الكتب الحديثة، الأردن، 2015، ص186.

وبالتالي فان المدرسة شريك مهم في تكوين الوعي السياسي للشباب سواء عن طريق أعضاء الهيئة التدريسية أو عن طريق المناهج التي تغرس القيم والولاء والوطنية والانتماء في الشباب.

3. الأحزاب السياسية:

تؤدي بعض الأحزاب السياسية دوراً مهماً في تنمية الوعي السياسي خاصة في الدول الديمقراطية، ولها الدور الكبير في التقدم والنمو والازدهار في المجتمعات، حيث تؤدي دوراً في إعداد الشباب سياسياً وتكوين الإحساس السياسي لديهم وتزويدهم بالمعارف السياسية "ويتمثل دور الأحزاب في التوعية السياسية من خلال غرس قيم محددة عبر العديد من الوسائل والتي تتمثل في البرامج التي تضعها، ووسائل الإعلام الخاصة بهدف الترويج لها، وانضمام أفراد جدد اليها، وترتبط وظائف الأحزاب السياسية في عملية التوعية السياسية بثلاثة أبعاد تتمثل في: البعد الأول: ويتعلق بالجانب المعرفي والخاص بتقديم المعلومات، البعد الثاني يختص بالجانب الوجداني، أما الثالث يرتبط بالمهارات والخاص بالمشاركة السياسية"[1]

إن الأحزاب السياسية تقوم بدور كبير في تكوين الوعي السياسي، حيث تعمل على تزويد أعضائها بالمعارف السياسية ، وتقوم بالترويج لبرامجها السياسية بغية زيادة المقبلين عليها. " فالحزب السياسي هو تنظيم دائم أو قائم على مبادئ وأهداف مشتركة بهدف الوصول الى السلطة أو المشاركة فيها أو التأثير عليها ويضم مجموعة بشرية متجانسة في أفكارها ويمارس مختلف النشاطات السياسية وفقا لبرنامج عام لتحقيق أهدافه وتوسيع قاعدته الشعبية على المستويات المحلية والوطنية"[2]

مما سبق نجد أن الاحزاب السياسية أداة لإحداث التغيير في المجتمع، " فالأحزاب هي الإطار الأكثر ملائمة لجذب الجماهير للمشاركة السياسية في صنع أو تشكيل القرارات السياسية العليا مع ترشيد هذه المشاركة وجعلها أكثر فاعلية وتتضح هذه الوظيفة في الدول النامية التي ظلت الجماهير فيها محرومة لفترة طويلة من المشاركة في عملية صنع القرار"[3]

[1] اسماعيل، سعد، مقدمة في علم الاجتماع السياسي، ط1،دار المعرفة، مصر، 1997،ص43.
[2] الحمداني، قحطان، مدخل الى العلوم السياسية، ط1،دار الثقافة، عمان، 2012 ،ص263.
[3] سلمطاوي، نبيل، بناء القوة والتنمية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980. ص179.

وبالتالي فالأحزاب السياسية لها دور فعال وتأثير قوي في تكوين الوعي السياسي، ويعدّ مرجع مهم لأعضائه، ويؤثر بشكل كبير على المشاركة السياسية للشباب ويعدّ أداة من أدوات التوعية السياسية وتكوين الإحساس السياسي لدى المواطنين.

4. وسائل الاعلام:

تقوم وسائل الإعلام بدور كبير وبارز في عملية التنشئة وتشكيل الوعي السياسي للشباب، وهذا الدور يزداد أهمية وتأثيرا بانتشار هذه الوسائل وتطورها ، فلم يعد وعي الشباب مقتصرا على خبراته الشخصية، بل أصبح أكثر اعتمادا على ما يصله من خبرات الآخرين وأصبح هناك اعتماد كبير على وسائل الاعلام " فقد أصبحت تستطيع المشاركة في تغيير الآراء والمواقف والميول والاتجاهات الاجتماعية والسياسية التي يحملها أبناء المجتمع تجاه القضايا والأمور الاجتماعية والأيديولوجية التي تهمهم شرط قيام هذه الوسائل بتكييف عروضها ومناهجها وفعاليتها الأدبية والفنية مع حاجات وطموحات الجماهير وشرط انسجام العروض والمناهج والفعاليات مع أفكار وممارسات وأهداف المؤسسات البنيوية للمجتمع الكبير"[1]

إن الاعلام أصبح في وقتنا الراهن يمارس دورا كبيرا في التنشئة السياسية وفي إعطاء المساحة لإبداء الرأي من خلال توفير المعلومات عن الأحداث السياسية وما يجري حولنا وبشكل سريع خاصة بعد دخول الانترنت الى حياتنا.

" حيث أصبحت وسائل الإعلام تمنح النخب السياسية في المجتمع إمكانيات كبيرة لإثارة المصلحة والتأثير في اتجاهات المواطنين كما أن الانتشار الحر للمعلومات من خلال وسائل الاتصال تخلق إمكانية كبيرة للتحرك الشعبي على أساس معرفة واسعة ودقيقة بالأحداث السياسية وتأتي أهم تأثيرات وسائل الإعلام التي تنعكس على النظام السياسي ككل، وعلى تصور المواطن للسياسة وشرعية النظام السياسي والتأثير في اتجاهات الأفراد والذي يمكن أن يغير من التوازن بين القوى أو الشخصيات السياسية في المجتمعات الديمقراطية وهذا ما يظهر أكثر في فترة الحملات الانتخابية"[2]

[1] الحسن، احسان محمد، علم الاجتماع السياسي،ط4، دار وائل، الأردن،2013،ص271.
[2] مجاهد، جمال، الرأي العام وقياسه(الأسس النظرية والمنهجية)،ط1، دار المعرفة، الإسكندرية، 2008،ص72.

مما تقدم نجد أن وسائل الإعلام تسعى إلى تعزيز وعي الشباب وربطهم بالحركة المجتمعية من خلال تعزيز قيمهم ومعتقداتهم وأحيانا تعديلها، كونه على تواصل دائم مع هذه الوسائل وتعرضه الدائم لها يؤثر على سلوكياته وقراراته. فما دور التنشئة السياسية ومؤسساتها في تكوين الوعي السياسي للشباب.

ثالثاً: دور التنشئة السياسية في تشكيل الوعي السياسي:

هناك العديد من الوسائل والأدوات لاكتساب الوعي السياسي كنا قد تحدثنا عنها كالأسرة والمدرسة والأحزاب السياسية ووسائل الأعلام حيث إن لهذه المؤسسات دوراً فعالاً في تكوين وتدعيم الوعي السياسي للشباب، ولكل منها طرقها في تنشئة الفرد سياسياً وإعداده ليكون مواطنا شريكا في الحياة السياسية، كما تسهم في تغيير وتدعيم ثقافتهم السياسية لتكون مشاركتهم فعالة في أوضاع مجتمعهم ومشكلاته وذلك بهدف السير بالمجتمع للأمام، وخاصة أن هناك نتائج مهمة لانتشار الوعي السياسي بين الشباب أبرزها:

" النهضة الحضارية: ترتبط النهضة الحضارية غالبا بالنهضة الفكرية التي يقودها الوعي السياسي حيث يرتب الأمور في صالح البناء الاجتماعي والحضاري ، وفقا لذلك تتحدد الهياكل التنظيمية والسياسية على أساس الوعي القائم لدى أفراد الشعوب.

التحليل الموضوعي للأحداث: يمنح الوعي أفراد الشعوب القدرة على التحليل الموضوعي والعلمي للأحداث السياسية، ويحد من اكتساب وعي زائف تحكمه العاطفة، ويبث عبر وسائل مستغلة من طرف جهات في النظام الحاكم او أطراف لها أغراض حقيقية "[1]

لذلك يجب الاهتمام بتنشئة الشباب تنشئة سياسية والعمل على تطوير إمكانياتهم وفهمهم للأمور السياسية، لأن الشباب الذين يمتلكون وعياً سياسياً يصبح لديهم القدرة على أداء دور الرقيب على سياسات السلطة، وبالتالي يجب العمل على بناء جيل يمتلك الثقافة والوعي ليسهم في تعميق التجربة الديمقراطية.

لذلك يجب امتلاك الثقافة السياسية أيضا حيث إن الثقافة السياسية " هي إفراز للوعي السياسي ومنتج تراكمي له، فضعف الوعي السياسي يرافقه ضعف في الثقافة السياسية

[1] إمام، عبدالفتاح، الديمقراطية والوعي السياسي،ط1، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، 2006،ص73.

وارتفاعه يؤدي الى ارتفاع الثقافة السياسية، وارتفاع وانخفاض الوعي والثقافة يختلف بشكل ملحوظ من مجتمع لآخر مع تشابه بعض أشكال الثقافات السياسية وأنماطها ، وذلك وفق المرجعية الفكرية أو الطبيعية الاجتماعية لكل مجتمع"[1]

وبالتالي فالثقافة السياسية تدعم الوعي السياسي لدى الشباب وتخلق ثقافة عالية واطلاعا على مجريات الأحداث ويحافظ على انتمائه الوطني والعربي ، أما بالنسبة لمكونات الثقافة السياسية

"هي مجموعة من العناصر أو المكونات للثقافة السياسية سواء أكانت تلك التي تتبناها الدولة وتسمى الثقافة الرسمية، والتي هي عبارة عن نسق فكري يعدّ بمنزلة دليل للعمل السياسي طرح به رؤيته للتاريخ ويبرر ممارساته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتضفي الشرعية على النظام السياسي، أم تلك السائدة لدى أفراد المجتمع التي تسمى الثقافة غير الرسمية والتي تشير الى ما لدى الأفراد من معتقدات وقيم واتجاهات، وقد يوجد تطابق بين الثقافتين الرسمية وغير الرسمية"[2]

لذلك يجب السعي الدائم لتقديم الثقافة السياسية للشباب وإعدادهم وتنشئتهم سياسيا لإكسابهم الوعي، وتعدّ أدوات التنشئة المختلفة المصدر الرئيس للوعي السياسي من خلال ما تقدمه لهم كل مؤسسة من مؤسسات التنشئة السياسية بدءا من الأسرة للمدرسة وغيرها من هذه المؤسسات كالأحزاب السياسية ووسائل الاعلام التي تهدف الى إكسابهم التوجهات السياسية والاتجاهات التي يحملونها تجاه النظام السياسي، لتصبح هذه المؤسسات شريكاً في عملية الإصلاح السياسي والتعبئة الجماهيرية وتشكيل الوعي السياسي لدى الشباب.

[1] العليوي ، فايد، الثقافة السياسية في السعودية، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012،ص14.

[2] طنطاوي، محمد عبد الحليم، "الوعي السياسي لدى طلاب جامعة الزقازيق"، مجلة التربية، المجلد 25 ،1996،ص221.

رابعاً: نتائج البحث:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

. للأسرة دور مهم وفعال في تعزيز الوعي السياسي، لأنها الاطار المرجعي الأول والأهم.

. المدرسة وسيلة مهمة لبث القيم وترسيخ الانتماء لدى الشباب، وذلك من خلال المقررات الدراسية بالإضافة الى الكوادر الدراسية.

. للأحزاب السياسية دور فاعل في تكوين الوعي السياسي للشباب من خلال تزويدهم بالمعارف السياسية والسماح لهم بالعمل السياسي بشكل منظم.

. تعمل بعض وسائل الإعلام على تعزيز وعي الشباب السياسي وربطهم بالحركة من المجتمعية، ومع تطور هذه الوسائل أصبح تأثيرها أكبر وأصبحت تسهم في تكوين اتجاهاتهم ومواقفهم السياسية.

. بعض مؤسسات التنشئة السياسية مؤسسات مهمة جداً وذات تأثير كبير ولها دور فاعل في تكوين الوعي السياسي للشباب وتوسيع دائرة معارفهم السياسية وتنشيط دورهم السياسي في المجتمع .

خامساً: التوصيات والمقترحات:

. يجب رفع سوية الوعي السياسي للشباب، لأنهم مستقبل الأمة، وهم أساس تطوير المجتمع.

. يجب تفعيل دور مؤسسات التنشئة السياسية وتقديم الدعم للقيام بدورها الحقيقي وتسهم في دعم الوعي السياسي وتطويره.

. يجب على الأسرة خلق مساحة من الحوار والحرية ودعم تبادل الآراء مع الشباب وإشراكهم بالقرارات وتنمية الوعي السياسي لديهم.

. تعليم الشباب على قبول الآخر وتعدد الآراء وإعطاء الحق لكافة أبناء المجتمع للتعبير عن آرائهم وتوجهاتهم السياسية.

. تفعيل دور وسائل الإعلام وإقامة ندوات توعية للاستخدام الأمثل لها، لتكون وسيلة للوعي السياسي بدلا من التضليل الذي نشاهده اليوم في القنوات المغرضة.

. تفعيل دور الأحزاب السياسية وإشراك الشباب في القيادة ليسهموا في تكوين الرأي العام، وزيادة مساحة الحرية والديمقراطية.

. لغياب الوعي آثار سلبية جمة على المجتمع لذلك يجب رفع سوية الوعي السياسي والثقافة السياسية للشباب لنرتقي بالمجتمع ونعزز الانتماء والولاء للوطن.

المصادر و المراجع:

1. أبراش، ابراهيم، **علم الاجتماع السياسي**، ط1، دار الشروق، عمان، 2011.
2. اسماعيل، سعد، **مقدمة في علم الاجتماع السياسي**، ط1، دار المعرفة، مصر، 1997.
3. ألموند، جبرييل، **السياسيات المقارنة في وقتنا الحاضر**، ترجمة: هشام نصار، دار الاهلية، مصر،1998.
4. إمام، عبدالفتاح، **الديمقراطية والوعي السياسي**، ط1، نهضة مصر للطباعة، القاهرة، 2006.
5. حجازي، محمد، **الوعي السياسي في العالم العربي**، ط1، دار الوفاء للنشر، الإسكندرية، 2007.
6. الحسن، إحسان محمد، **علم الاجتماع السياسي**، ط4، دار وائل، الأردن،2013
7. حمادة، عمار، **الوعي والتحليل السياسي**، ط1، دار الهادي للنشر، بيروت، 2005.
8. الحمداني، قحطان، **مدخل الى العلوم السياسية**، ط1، دار الثقافة، عمان، 2012
9. الحويلة، هايف هادي، "**الوعي السياسي لدى طلبة جامعة الكويت وعلاقته ببعض المتغيرات المجتمعية**"، مجلة كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد143، 2009.
10. داوسن، ريتشارد وآخرون، **التنشئة السياسية**، ترجمة: عبدالله ابو القاسم خشيم، جامعة قارينوس، ليبيا،1999.
11. رشاد، عبدالغفار، **الراي العام: دراسة في النتائج السياسية**، دار الأصدقاء، المنصورة، 1980.
12. سلمطاوي، نبيل، **بناء القوة والتنمية السياسية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1980.
13. الشربيني، زكريا، **تنشئة الطفل وسبل الوالدين في معاملته ومواجهة مشكلاته**، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996.
14. شكري، امام، **الاعلام العربي والوعي السياسي للمراهقين، ط1، مركز الإسكندرية**، الإسكندرية،2009.
15. الطيب، مولود زايد، **علم الاجتماع السياسي**، ط1، دار الكتاب الوطنية، ليبيا، 2007.

16. طنطاوي، محمد عبد الحليم، "**الوعي السياسي لدى طلاب جامعة الزقازيق**"، مجلة التربية، المجلد 25 ،1996.

17. الظاهر، نعيم ابراهيم، **مدخل الى العلوم السياسية**، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2015.

18. العليوي ، فايد، **الثقافة السياسية في السعودية**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012.

19 . الفردي، عبدالله بن علي، **الوعي السياسي في الإسلام**، ط1، دار طويق للنشر، الرياض،2010.

20. مجاهد، جمال، **الرأي العام وقياسه(الأسس النظرية والمنهجية)**، ط1، دار المعرفة، الإسكندرية، 2008.

21. محمد، عبد اللطيف محمود، **التنشئة السياسية للطفل رهان المستقبل للحفاظ على الهوية القومية**، مصر، 2006.

22. منوفي، كمال، **التنشئة السياسية في الفقه السياسي المعاصر**، ط1، القاهرة،1974 .

23. النجار، ابراهيم أحمد، "**نحو دور فاعل للشباب في الحياة السياسية**"، مجلة الديمقراطية، العدد6، القاهرة،2002.

الطبقات الاجتماعية في الدولة المرابطية (448- 541هـ/ 1056-1147م)

* إشراف الدكتورة: رندة عباس

** إعداد الطالب: عامر غسان الشدود

ملخص:

عند دراسة تاريخ أي دولة من دول العصور الوسطى، لابد من الحديث عن الطبقات الاجتماعية لتلك الدولة، وميزات كل طبقة من الطبقات، ومن هنا فإن هذه الدراسة تهدف إلى معرفة الطبقات الاجتماعية المكونة للدولة المرابطية، كونها شكلت إحدى أهم الدول التي حكمت المغرب العربي الإسلامي وجنوب أوروبا،كما وجب معرفة التقسيمات الاجتماعية وأنواعها في الدولة المرابطية، التي نجحت في بناء كيان سياسي واقتصادي واجتماعي قوي، على الرغم من الاختلاف في الطبقات الاجتماعية المكونة للدولة، والتي تمثلت بطبقة الحكام التي شملت الخلفاء والوزراء والولاة، وهي الطبقة التي تحكمت في مقدرات البلاد، والتي اعتمدت على حكم إسلامي ، قائم على أسس دينية بحتة، الطبقة الخاصة وشملت رجال الدين كالعلماء والفقهاء والمتصوفة والطلبة، وهذه الطبقة هي التي أصدرت الفتاوي لتثبيت الحكم القائم، فكانت في كثير من الأحيان سنداً للفئة الأولى، وطبقة العامة والتي شملت التجار الصناع والحرفيون والفلاحون والمهمشون، وهي الطبقة التي اعتمدت عليها الطبقتين السابقتين لترسيخ حكمهم، وهذه الطبقات بدورها قسمت إلى فئات أكثر خصوصية أساسها توضيح واقع كل طبقة، ودورها في المجتمع.

كلمات مفتاحية:

الدولة المرابطية، المغرب الإسلامي، الطبقات الاجتماعية، الخليفة، العلماء والفقهاء، التجار والصناع والحرفيين.

*أستاذ مساعد–جامعة تشرين–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–قسم التاريخ–اللاذقية–سورية.

**طالب دراسات عليا(دكتوراه) تاريخ عرب وإسلام–جامعة تشرين–كلية الآداب والعلوم الإنسانية–قسم التاريخ–اللاذقية–سورية.

Social classes in the Almoravid state (AH/1056-1147AD 541-448)

* Dr.Randa Abbas

**student preparation:Amer Ghassan ALshadoud

Abstract

When studying the history of any medieval country, it is necessary to talk about the social classes of that country, and the characteristics of each class,hence this study aims to know the social classes that make up the Almoravid state, as it formed one of the most important countries that ruled the Arab Islamic Maghreb and southern Europ,it is also necessary to know the social divisions and their types in the Almoravid state, which succeeded in building a strong political, economic and social entity, despite thedifference in the social classes that make up the state, which was represented by the class of rulers that included caliphs, ministers and governors, which is the class that controlled the capabilities of the country, which adopted On an Islamic rule, based on purely religious foundations, the special class included clerics such as scholars, jurists, mystics and students, and this class was the one that issued fatwas to establish the existing rule, and it was often a bond for the first class, and the public class, which included merchants, manufacturers, craftsmen, farmers, and the marginalized. The class on which the previous two classes relied to consolidate their rule, and these classes, in turn, were divided into more special classes

whose basis is to clarify the reality of each class and its role in society.

Keywords:

Almoravid state, Islamic Maghreb, social classes, caliph, scholars and jurists, merchants, manufacturers and craftsmen

---

*Assistant Professor – Tishreen University – College of Arts and Human .Sciences – Department of History – Lattakia – Syria

**Postgraduate student (PhD) History of Arabs and Islam – Tishreen University – College of Arts and Human Sciences – Department of History – Lattakia – Syria

أولاً- مقدمة:

لقيت الدراسات الاجتماعية في الفترة الأخيرة عناية كبيرة من قبل الباحثين، وذلك لأهمية الموضوع، وعلاقته بتفسير الكثير من الظواهر الاجتماعية السائدة في أيامنا هذه، والتي تعود جذور الكثير منها إلى فترات موغلة في القدم، وذلك أن هذا النوع من الدراسات يمكننا من إماطة اللثام عما كان يجري في تلك الفترة، وماهي الطبقات الموجودة في المجتمع وكيف كانت العلاقات فيما بينها،لاسيما في منطقة المغرب الإسلامي،وبالتالي فإن دراسة الفئات الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات العالمية عبر العصور،تساعد في تسهيل دراسة الكثير من الحوادث، والأعراف السائدة في تلك المجتمعات، لأن كل طبقة من طبقات المجتمع لها ميزات وخصائص تختلف عن بقية الطبقات، وهذا ينطبق على المجتمع المرابطي، الذي عرف تنوع في طبقاته الاجتماعية، تمثلت في وجود عدد من الطبقات فيه (كالطبقة الحاكمة والخاصة والعامة وغيرهم)، وبدورها قسمت كل طبقة إلى فئات، وقد لعبت تلك الطبقات دوراً مهماً في الدولة المرابطية، وتمثل دور كل طبقة حسب حجمها وقدرتها على التأثير في المجتمع، ومن هنا لابد من الحديث عن تلك الطبقات ووضعها وأحوالها في الدولة المرابطية

إشكالية البحث: شهدت مرحلة العصور الوسطى قيام العديد من الدول الإسلامية، في المشرق والمغرب الاسلامي،وقد ضمت هذه الدول في مجتمعاتها العديد من الفئات،ونخص بالذكر الدولة المرابطية موضوع بحثنا، والتي تكون مجتمعها من فئات متعددة ومتباينة من النواحي السياسية والاقتصادي والاجتماعية، مما يطرح العديد من التساؤلات منها:

1-ماهي الفئات التي يتضمنها المجتمع المرابطي؟

2-ما هي الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك الفئات؟

3-ما هي طبيعة العلاقة بين تلك الفئات؟

أهمية البحث: يعود سبب اختيار البحث إلى الرغبة في إلقاء الضوء على الفئات المكونة للمجتمع المرابطي، ذلك أن معظم الدراسات التاريخية قد تناولت الجانب السياسي لهذه الدولة، ، وذلك بسبب أهمية الدراسات الاجتماعية، كونها تمثل أحد وجوه السياسية الداخلية للدولة القائمة، فضلاً عن دورها في التعريف بالمكونات العامة للدولة والتي ساهمت بشكل جذري وفعال في استمرارية الدولة لمراحل زمنية طويلة.

منهج البحث: سيعتمد البحث على المنهج الوصفي في دراسة أحداث المرحلة، وعلى تحليل تلك الأحداث وفق منهج علمي، وقد تم الاستعانة بعدد من المصادر التي عاصرت تلك الفترة، والمراجع التي ساهمت في إغناء البحث بالمعلومات المهمة.

أولاً: لمحة جغرافية وتاريخية:

عرف المغرب العربي الإسلامي وحدة جغرافية متكاملة، كما بقية أقاليم الوطن العربي؛ إذ لا توجد حواجز طبيعية تميز بين حدود بلدان المغرب وأقاليمه، بل على العكس فجغرافيته تتميز بالامتداد المتصل. لكنه قسم سياسياً إلى أقسام عدة، هي: المغرب الأقصى سمي بذلك لأنه أبعد أقطار المغرب الثلاث عن دار الخلافة في المشرق، ويشمل المغرب الأقصى خمس أقاليم[1]. والمغرب الأوسط (يقصد به الجزائر)، لوقوعه بين المغربين الأدنى والأقصى. والمغرب الأدنى (ويضم تونس) كونه أقرب إلى دار الخلافة في الحجاز[2].

وقد عرف المغرب الإسلامي قيام عدد من الدول منها، الدولة المرابطية[3]، التي تأسست وفق أسس دينية إصلاحية، على يد **عبد الله بن ياسين الجزولي**[4] و**يحيى بن إبراهيم**[5] الذي توفي عام440هـ/1048م، فاختار **ابن ياسين** الأمير **يحيى بن عمر اللمتوني**[6] (440-447هـ/ 1048-1056م) زعيماً جديداً لكنه ما لبث ان قتل في إحدى المعارك، فخلفه أخاه **أبو بكر بن عمر**[7] (448-480هـ/1056-1088م)، الذي خضعت له العديد من المناطق، وجعل من واحة **أغمات**[8] مقراً له، ومع زيادة عدد أنصاره واتباعه ضاقت العاصمة بهم، فنقل العاصمة إلى مدينة **مراكش**[9].

وفي عام 452هـ/1060م، غادر **مراكش** إلى الجنوب لقتال قبيلة **جدالة**[10] التي تمردت عليه، فاستخلف ابن عمه **يوسف بن تاشفين**[11] على حكم البلاد لحين عودته، عمل **بن تاشفين** على توطيد حكمه، وكسب التأييد له من العامة والخاصة على حد سواء، ومع عودة **أبو بكر** إلى **مراكش** عام(454هـ/1062م)، شاهد انجازات ابن عمه الواسعة، عَلِمَ أنه لن يتنازل له عن الملك، فاجتمع به وأعلن عن تنازله عن الحكم لصالح ابن عمه[12]، وعاد إلى الجنوب، وبذلك انقسمت **حركة المرابطين** إلى قسم شمالي بزعامة **يوسف بن تاشفين** ويعد هذا الجزء المكون الرئيس للدولة المرابطية، وقسم جنوبي بزعامة **أبو بكر بن عمر**[13].

عمل **يوسف بن تاشفين** (454هـ/1062م-500هـ/1106م) بعد استقرار الأمر له في مراكش على التوسع في أرجاء المغرب والاندلس[14]، ونجح في ترسيخ حكمه، وأسس دولة قوية مرهوبة

الجانب، وبعد وفاته خلفه في الحكم ابنه **علي بن يوسف** (500هـ/1106م- 537هـ/1142م)، الذي سعى لمواصلة سياسة أبيه في الحكم، فحقق انتصارات عدة على أعدائه، لكن ضعف شخصيته، وخضوعه لرغبات الفقهاء ورجال الدين، وتدخل النساء في الحكم، جعل زمام السلطة تخرج من يده، فبدأت عدد من الثورات في المغرب والاندلس ضده، وساءت أحوال البلاد. وبعد وفاته خلفه في الحكم ابنه **تاشفين بن علي** (537هـ/1142م- 539هـ/1144م)، الذي لم يكن على قدر المسؤولية في إعادة هيبة الدولة، وكان جل اهتمامه محاربة **حركة الموحدين**[15]، لكنه ما لبث أن قتل في أحد معاركه ضدهم. فخلفه ابنه **إبراهيم** الذي كان صغير السن، فنشب صراع مع عمه **اسحاق بن إبراهيم** الذي نقض بيعته[16]، وما لبثت أن سيطرت **جيوش الموحدين** على كامل **المغرب** بما فيها **مراكش** وذلك عام 541هـ/ 1146م، والقوا القبض على **اسحاق**[17]، وبذلك سقطت **الدولة المرابطية** بعد حوالي قرن من نشأتها، مخلفة العديد من النظم الإدارية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، والتي بدورها خلفت ورائها طبقات اجتماعية عدة سيتم الحديث عنها.

ثانياً: الفئات الاجتماعية: شهد المجتمع **المرابطي** نتيجةً للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة فيه، إلى ظهور طبقتين اجتماعيتين، **الطبقة العليا**، وشملت **الطبقة الحاكمة**، ويعتمد هؤلاء في إدارة البلاد على طبقة تسمى **الطبقة الخاصة**، ويتم استشارتهم في جميع الأمور، و**طبقة العامة** التي شملت: **الطبقة المتوسطة** التي تملك قوت يومهم، ويسيرون أمور الطبقة العليا، و**الطبقة الدنيا** الذين عانوا من ظروف الحياة الصعبة، ولم يكن لهم أي نشاط اقتصادي أو اجتماعي، وفيما يلي سيتم الحديث عن هذه الطبقات.

الطبقة العليا وتتضمن:

1-الطبقة الحاكمة: وتشمل عدد من الفئات، وهي:

أ- **الأمراء:** اتخذ حكام **الدولة المرابطية** لقب الأمير فكان أعلى المناصب في الدولة، ويرجع هذا الأمر إلى إعلان **المرابطين** بيعتهم **للخليفة العباسي** في **بغداد**، وبالتالي اعترافهم بسلطته الروحية في العالم الإسلامي، فضلاً عن رغبة **المرابطين** بتأييد الخليفة لهم وفي هذا دعم لسلطتهم القائمة، وللدعوة الدينية الإصلاحية التي قامت عليها دولة **المرابطين**[18]، لذلك فقد أرسل الأمير **يوسف بن تاشفين** وفداً محملاً بالهدايا إلى الخليفة العباسي **المستظهر بالله** (487-512هـ/ 1094-1118م)[19]، وكتاباً يذكر فيه عن جهوده في سبيل نصرة الدين الإسلامي، ويطلب اعتراف الخلافة العباسية بسلطته[20]، واستمر هذا اللقب حتى عام

467هـ/1075م، عندما لقب ابن تاشفين نفسه بأمير المسلمين، وناصر الدين، ليصبح هذا اللقب خاصاً بالأمراء المرابطين حتى نهاية دولتهم[21]. وفيما يتعلق بمنصب الأمير، حيث اعتمد نظام الحكم في الدولة المرابطية على الشورى، فكانت تقام بيعة خاصة، حيث يبايع أمراء الأسرة الحاكمة، ثم سادة قبائل **صنهاجة**، ثم القبائل الخاضعة لنفوذ **المرابطين**، ومن ثم يتلى العقد في المساجد على أسماع الناس، وأخيراً يُخطَب للأمير على المنابر إلى جانب الخليفة العباسي[22].

وفي عهد أمراء الدور الأول **دور التأسيس والقوة:** فقد حافظ حكام هذا الدور على التراث الصحراوي البدوي، المتمثل في حياة التقشف في الأكل واللباس[23]، وفي عهد **أمراء الضعف:** فقد غلبت حياة الرفاه السائدة في بلاد الأندلس[24]، فعمل أمراء هذا الدور على تشييد القصور الضخمة، كما تفنن هؤلاء في زخرفتها، وامتلأت قصور الامراء بالخدم والعبيد والجواري، واكتظ بلاطهم بالشعراء الذين كانوا يلتمسون العطايا والهبات من الأمراء، مقابل مدحهم والثناء عليهم[25]، فمال أمراء هذا الدور إلى حياة الترف والدعة، وابتعدوا عن هموم العامة، وهذا ما ساهم في تراجع شعبيتهم، وسقوطهم لاحقاً.

ب- ولي العهد: لم يكن مبدأ التوريث في الحكم، القاضي بأن يرث الابن أباه في الحكم، معروفاً لدى القبائل البدوية، لأنها من عاداتها أن تعقد لواء الزعامة لمن توافرت فيه شروط وصفات خاصة (كالحكمة والشجاعة والعطاء والنجدة)[26]، وبناءً على ذلك فقد كان يتم اختيار الأمراء في بداية تأسيس الحركة، بناءً على اختيار **عبد الله بن ياسين**، لذلك فقد عيّن **يحيى بن عمر اللمتوني**، بعد وفاة **يحيى بن إبراهيم الجدالي**، وهذا ما أثار حفيظة قبيلة جدالة لخروج الإمارة منها، فجرد ابن ياسين جيشاً ضدهم وردهم إلى الطاعة[27].

ومع تولي **يوسف بن تاشفين** الحكم، سعى إلى تطوير طريقة الحكم، وذلك بسبب خشيته من انتشار الفوضى في البلاد من بعده، وتفكك وحدة المغرب الإسلامي، وتنتهي بذلك الدعوة المرابطية، فعين ابنه **علي بن يوسف** ولياً للعهد عام 495هـ/1101م، بعد أن أستشار القضاة والفقهاء وزعماء القبائل وأفراد أسرته وكبار رجالات الدولة في الأمر، وبهذا انحصرت السلطة في **دولة المرابطية** في **يوسف بن تاشفين** وأبنائه وأحفاده من بعده[28]، لكن لم يكن لولاية العهد خطى ثابتة تسير عليها الدولة، فقد كان يتم تعيين ولي للعهد وما يلبث أن يبدل، أو يعزل، وهذا ما يقود إلى النزاع بين أبناء الأمير حول حق كل منهم في ولاية العهد، وبالتالي حدوث النزاعات بين أفراد البيت الحاكم نفسه[29].

ج- نائب الأمير: ساهم اتساع مساحة دولة المرابطين، في اتخاذ نواب ينوبون عن الأمير، بسبب عدم قدرته على الإشراف على كامل مساحة الدولة المترامية الأطراف، فكان من الطبيعي أن ينوب نائب أو أكثر عنه في أرجاء البلاد. **ففي الأندلس:** تم تعيين النواب من أقرب المقربين إلى **أمير المسلمين**، ووجب أن تتوفر فيه عدد من الصفات منها: أن يكون حسن القيادة والإدارة والكفاية العسكرية، وفي أغلب الأحيان كان **ولي العهد** يتولى عادةً هذا المنصب قبل تنصيبه أميراً للمسلمين، وقد منحت إلى هؤلاء سلطات واسعة، فكانوا يقيمون الولاة ويعزلونهم حسب ما تقضيه مصلحة الدولة[30]، وكان عليه أن يخوض الحروب، ويقمع حركات التمرد يعاونه على ذلك كبار القادة من لمتونة[31]، حيث كانت الأندلس مقسومة إلى عدة ولايات، وقد تنوعت مكان إقامة نائب الأمير فيها، وكثيراً ما نصح الأمراء أبنائهم للسكن في قرطبة[32].

نائب الأمير في المغرب: كان مقره مدينة **فاس**، وكان يولى أقرب الناس إلى الأمير، وكان النائب يقيم في **مراكش** خلال غياب الأمير عنها، إلى أن يعود إليها فيرجع النائب إلى **فاس** كي لا تحدث ازدواجية في السلطة[33]. وبسبب أهمية هذا المنصب، فقد سعى الأمير إلى مراقبة هؤلاء باستمرار، ولم يتيح لهم الاستقرار في مناصبهم لفترات طويلة، حتى لا يعملوا على الاستقلال، فكان يتم نقلهم من ولاية إلى أخرى[34].

د- قادة الجند: احتل هؤلاء مكانة مرموقة، ضمن طبقات **المجتمع المرابطي**، كون اقتصادها يعتمد على الغزو والحروب، وقد خصصت نسبة كبيرة من نفقات بيت المال للجيش، ففي عهد **يوسف بن تاشفين** اهتم بتنظيم الجيش وتدريبه من أجل تحقيق مشروعاته التوسعية الخاصة[35]، لكنه لم يدخل تعديلات كبيرة على إمرة الجند، فظلت التقاليد القبلية هي المتحكمة في تلك النظم، إذ تسيطر القبيلة المنتصرة على مقاليد الحكم، وتوزع قيادة الفرق المختلفة على أفراد من البيت الحاكم، أو من يثق بهم الأمير ويطمئن إلى إخلاصهم[36]. فلذلك كان ولاته وقضاة المدن من القواد العسكريون، كما تولى الفرق المقاتلة قادة عسكريون، وكان الأمير يجتمع بهم قبيل المعركة ويتلقون منه الأوامر والتعليمات[37].

وبسبب أهمية القادة في الدولة، فقد بلغ هؤلاء درجة عالية من الترف والغنى، فأقاموا في القصور والدور الفخمة بجوار قصر الأمير، ولم يختلطوا بعامة الناس، فكانت لهم أحياؤهم الخاصة في مختلف المدن المغربية والأندلسية[38]، حتى أنهم نجحوا في فرض أرائهم على أمراء الولايات، عندما أجبروهم على تعيين قضاة خاصين في مناطقهم يسمى قاضي عسكر، ونتيجة للحياة المترفة لهؤلاء فقد استأثرت عائلات معينة بالأمور العسكرية، وجعلتها حكراً على أبنائها[39]. ومع

دخول **دولة المرابطين** بمرحلة الضعف وتراجع قدرتها العسكرية، وبسبب القوة الكبيرة لقادة الجيش، ونفوذهم الاجتماعي الواسع، وقدرتهم المالية الكبيرة، فقد سعى هؤلاء إلى الاستقلال في ولاياتهم، وإقامة كيانات مستقلة بهم، لكن افتقارهم إلى الخبرة السياسية، وممارسة قضايا الحكم جعل إمارات البعض منهم لا تتجاوز بضعة أشهر(40).

2- الطبقة الخاصة: وتشمل:

أ- **الوزراء**(41) **والكتاب:** تقسم الوزارة إلى نوعين وزارة تنفيذ ووزارة تفويض(42)، إلا أن منصب الوزير في العصر **المرابطي** كان يكتنفه الغموض، فلم يتخذوا لهم وزراء بالمعنى المتعارف عليه والدقيق للكلمة(43)، ونتيجة للحكم العسكري الذي أقامه **الأمراء المرابطون**، فمن الطبيعي أن يتسم منصب **الوزير** بالطابع العسكري، ولمّا كان الأمر يتطلب من الوزير كتابة المراسيم والوثائق وصياغتها، فقد وجد في دولة المرابطين صنفان من الوزراء، هما **وزراء عسكريون:** من قيادات الجيش، وهم عادةً من أقرباء الأمير أو من قبائل لمتونة وصنهاجة، التي قامت على أكتافها دولة المرابطين. **وزراء كتاب:** وهم من الفقهاء، لذلك كان وزراء المرابطين من الكتاب والقضاة(44).

ومن مهام الوزير في **العصر المرابطي**، حسب رسالة محمد بن أحمد بن عبدون في الحسبة تتمثل في:

- على الوزير مراقبة عمل القاضي، فيكون عليه رقيب ومحاسب، لكي لا يحدث أمراً فيه ضرر للمسلمين عند السلطان، فبالقاضي يكون صلاح الرئيس، وبصلاح الرئيس يكون صلاح العباد والبلاد، والوزير واسطة بينهما في ذلك، فباتفاق القاضي والوزير يكون صلاح الدولة وصلاح العالمين.
- على الوزير مراقبة أعمال المتصرفين والعمال وغيرهم، حتى لا يتعدى أحد منهم على أكثر مما جعل إليه، من الحد دون زيادة أو جور(45).

ولم تقتصر مهامهم على ذلك، بل عملوا على توجيه الأوامر للرعية، وبعث الرسائل للملوك، ومعرفة القوائم المستحقة للخراج والجزية ومختلف الجبايات، ونقل أخبار المعارك والجهاد عبر المراسلات، وقد عاش الوزراء والكتاب حياة الترف وتكدست لديهم الثروات الطائلة بفعل الهبات والعطايا التي أنعم عليهم بها الملثمون، وقد تجلت مظاهر ترفهم في القصور التي أقاموها، وحيازتهم للضياع والإقطاعات، هذا النفوذ الاقتصادي ساهم في لعبهم دوراً في الحياة السياسية(46).

ب- الولاة: كانت الولاية على نوعين (عامة وخاصة)[47]، وفي **الدولة المرابطية** كان الولاة من قبيلة **لمتونة** بشكل خاص، و**صنهاجة** بشكل عام، وكان الولاة يخضعون مباشرة لسلطة نائب الأمير، إلا انهم كانوا مراقبين مراقبة شديدة من قبل الأمير عامةً وبشكل خاص خلال فترة حكم **يوسف بن تاشفين**، الذي وضع مصلحة العامة في المقام الأول عند تعيين الولاة، وكان غالباً ما يزود ولاته بتوجيهاته، تتمثل في: اتباع الحق في أموره، ومساعدة المظلوم، وعدم إغلاق أبوابهم في وجه المضطهد، ومعاقبة كل من يخالف القانون أو يبدل الأحكام أو يتعامل بالرشى من موظفي الدولة[48].

كما عمل على منح الولاة سلطات مطلقة، في تسيير أمور الولاية، لكنه لم يكن مطلق التصرف في أفعاله بل عليه استشارة أولوا الرأي، عاش **المرابطون** في ولاياتهم شبه مستقلين، ومنحوا سلطاناً واسعاً، كون الحكم لديهم يميل إلى اللامركزية في الإدارة[49]، لكنهم دانوا بالولاء لأمير المسلمين، الذي سعى إلى الاهتمام بأمر الولايات، فلم يترك أمراً دون حله، وحث الأهالي على العمل للحفاظ على وحدتهم، ونبذ خصوماتهم، والعمل على عدم الخروج عن طاعة أميرهم، لكنه إن ثبت تورط الوالي في سوء معاملة الأهالي، أو قصر وأهمل عمله، فتتم معاقبة الوالي وعزله من منصبه[50].

ج- العلماء والفقهاء: احتلت طبقة الفقهاء والعلماء منزلة رفيعة في المجتمع المغربي الإسلامي، لأسباب عدة، منها: -دعوتهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، - دورهم في نشر الدين الإسلامي والعلم في المجتمع، - بث التوعية بين الناس، -التصدي للفساد، القدرة في التأثير على الشعب عامة[51].

عمل ابن ياسين بعد قيام الدعوة **المرابطية**، على الاهتمام بالعلماء والفقهاء، وكان نفسه فقيهاً دينياً، فكان يبعث أموال الزكاة إلى طلبة المصامدة وفقهائها وقضاتها، كما واصل تعليم الناس فخلق في الصحراء جواً من العلم والمعرفة، وبذلك نشأ جيل من الفقهاء الصنهاجيين عرفوا بالصلاح والتقوى[52]، وتميزوا بثقافة كبيرة، فبالإضافة إلى علوم الدين، برعوا في اللغة والفلسفة والعلوم الطبيعية، وهذا ما رسخ وجودهم في المجتمع **المرابطي**، وقد كان الفقهاء يفتون بين الناس من خلال الكتاب والسنة النبوية، ولا يقلدون أحد من الأئمة المتقدمين، بل تكون أحكامهم بما يؤدي إليه اجتهادهم في استنباطهم القضايا من الكتاب والسنة والإجماع والقياس[53]، فحافظوا بذلك على السلم الأهلي، ومنعوا النزاعات والخلافات بين الناس.

وبذلك عرفت الحركة الفقهية في الدول المرابطية نشاطاً كبيراً، فاحتل الفقهاء والعلماء منزلة رفيعة في الدولة، إذ قدرهم وكرمهم الأمراء، **فيوسف بن تاشفين** كان محباً لهم، ومعظماً لمكانتهم[54]، فقربهم إليه، وجعل استشارتهم دستوراً يسير عليه كل أمراء المرابطون، حتى أمير المسلمين نفسه، كان لا يقطع أمراً في البلاد دون مشاورة الفقهاء[55]، فأصبحوا فيما بعد من المؤثرين على مجريات الأحداث في البلاد، فتدخلوا في شؤون الدولة، وبذلك فقد كان لهذه الفئة سلطاناً واسعاً في المجتمع **المرابطي**، وبشكل خاص إذ توافقت أفكارها مع أفعال الأمراء أو ولاة الأمر، فأساء هؤلاء استعمال سلطانهم لمصالحهم الخاصة، فأثاروا بأفعالهم نقداً شديداً على أنفسهم وعلى **المرابطين**[56]، وهذا ما دفع مؤسس حركة الموحدين **محمد بن تومرت**[57] إلى مهاجمتهم، واتهمهم بالجمود والتمسك بالفروع وتركهم للأصول[58].

ثانياً: فئة العامة: يقصد **بالعامة** القسم الأعظم من الرعية، ويرجع سبب تسميتهم بهذا الاسم، لكثرت عددهم وعدم إحاطة البصر بهم[59]، ولجهلهم بالأمور الدينية التفصيلية، والتزامهم بالعموم فقط، فهم يقرون بالله ورسوله، لكنهم لا يعرفون أسرار الشرع وعلم الكلام والفلسفة، وبالتالي فكلمة عامي أي ليس لهم بالثقافة العامة، أو بأحد فروع المعرفة، فضلاً عن كونهم ليسوا من أصحاب السلطة[60]. حيث وصفت هذه الفئة بأوصاف عدة، كانت تذمهم وتنعتهم بأبشع الأسماء والصفات، كالرعاع والأوباش والأنذال[61]، ولابد من الإشارة إلى أن هذه الفئة عاشت في ظروف قاسية وصعبة، إلا أنها مارست دوراً مهماً في أوضاع المجتمعات عامةً، كما ضمت هذه الفئة قسمين أساسيين، وبدوره كل قسم جزء إلى فئات متعددة، أهمها: صغار التجار وأصحاب الحرف الصغيرة والفلاحين الذين يشتغلون في مزارع الشرفاء، وشرائح أخرى ارتبطت بها[62].

وقد عملت **الدولة المرابطية** على تنظيم أمور هذه الطبقة، فسنّ الأمراء القوانين والأنظمة العادلة، بما يمكنهم من العيش في كنف السلطة، إلا أنهم في أواخر عمر الدولة، وبداية الاضطرابات السياسية، فرضت الضرائب الباهظة عليهم، فلم يكن بمقدورهم دفعها، مما زاد في سوء واقعهم[63]، وفيما يلي سيتم الحديث عن أهم فئات هذه الطبقة وأوضاعها.

1- الطبقة الوسطى:

-**أالتجار:** تمثل هذه الطبقة شريحة كبيرة من الطبقة العامة، ويعمل هؤلاء في شراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء[64]، وقد قسمت هذه الفئة إلى فئات عدة، وهي:

الفئة الأولى التجار البسطاء: وهؤلاء من دون حوانيت أو رأس مال تقريباً[65]، فيتنقلون بين الأسواق، ويتاجرون بالمنتجات على جانب الطرقات، أو في رحبة الجامع[66]، كما عمل هؤلاء

الباعة في المناطق النائية، ومناطق الفتن، مخاطرين بأنفسهم بحثاً عن المزيد من الربح، فضلاً عن غيابهم عن منازلهم لفترات طويلة[67]، وهذا ما يمكّن صاحبها من محاربة الفقر، وقد ضمت هذه الشريحة العطارين بائعي النباتات الطبية، والصيادين الذين عاشوا بالقرب من شواطئ البحار والأنهار وغيرهم، وقد مارس بعض المتصوفين العمل التجاري، فمنهم من كان جزاراً يبيع اللحوم، ومنهم من كان يبيع الخضروات[68].

أما **الفئة الثانية** تشمل **صغار التجار**: وهم على الأغلب أصحاب الحوانيت الصغيرة المتواضعة، الذين يكسبون رزقهم من تجارتهم، يشتركون مع العامة بالمكانة الاجتماعية، وقد اتهم التجار الصغار والباعة بالغش، وأنهم شرهون إلى ما بين يدي الناس، ولولا تدخل الحكام لأصبحت أموال الناس نهباً بيد التجار[69]. أما **الفئة الثالثة** :فكانت تشمل **كبار التجار**، وهؤلاء استغلوا الفئتين السابقتين، ولم يتركوا لهم هامش ربح كبير، فكانوا المستفيد الأكبر من العمليات التجارية، وقد اتخذت **الدولة المرابطية**، إجراءات شاملة وواسعة لتشجيع التجارة، فسعت لإلغاء الضرائب الفادحة على التجارة، وبقي على التاجر أن يوفي الضرائب الشرعية للدولة، وفتحت منافذ متعددة لتسويق المنتجات الزراعية والصناعية، ونشطت عملية الصادرات والواردات، ونمت التجارة الداخلية بفعل الاستقرار السياسي للدولة، وازدهرت التجارة الخارجية بفعل النمو الكبير للأسطول المرابطي[70]، وحمت الدولة الأسواق من السرقة أو الابتزاز، إلا أن التجارة ما لبثت أن تهاوت، بسبب ضعف الحكام وما رافقه من انتشار السرقات، وعدم قدرة الدولة على ضبط الأسعار، كما زادت الكوارث البيئية وضع التجار سوءاً، مما أدى إلى فقر خلق كثير[71].

ب- الصناع والحرفيون: تعد هذه الشريحة أهم شرائح الطبقة **العامة**[72]، والتي لا يمكن الاستغناء عن خدماتها، وذلك لدورها الكبير في ازدهار المجتمع، ومساهمتها في تأمين متطلبات حياته اليومية، ونظراً لأهمية الصنائع والحرف في المجتمع، فقد عدها البعض أول ما ينبغي للإنسان تعلمه بعد معرفته لوالديه[73]، ولعل هذا ما ساعد العامة على الإقبال لتعلم المهن، وقد ساعد رب العمل صناع لا يقلون كفاية ودراية بأسرار الصنعة عن المعلم، ولكنه يختلف عنهم بملكية وسائل الإنتاج، ويبدو أن العلاقة التي كانت تربطه مع عماله تهدف إلى التعاضد والتلاحم داخل الحرفة[74]، كما ساعده صبياناً صغاراً، ويعمل هؤلاء من أجل اكتساب الصنعة أو الحرفة، حيث يكون هؤلاء الصناع الصغار تحت التمرين من أجل اكتساب الحرفة، كانت تلك المهارة الحرفية تنقل إلى المتمرنين بواسطة التعليم، وكذلك مشاهدة الآلات أثناء العمل[75].

ازدهرت الصناعة خلال **الحكم المرابطي**، بسبب انتشار الأمن والأمان[76]، وتوفر الشروط المادية اللازمة للصناعة[77]، ومهارة الصناع ومعرفتهم الفنية في مجال صناعتهم[78]، واهتمام الأمراء بالحرفيين والسهر على سلامة أبدانهم وتوفير الخدمات لهم[79]، فضلاً عن تمتعهم بالإعفاءات الضريبية[80]، وكان للنشاط التجاري الضخم للمرابطين، دوراً في رواج الصناعة المرابطية، كونه من الميسور تسويقها وتصديرها، مما حدا بالصناع على مضاعفة الانتاج، مما أدى لظهور مراكز صناعية ضخمة في البلاد[81].

وقد قسم الحرفيون إلى قسمين:

القسم الأول: يعمل في القطاع الإنتاجي، ويشمل الصناع المستقلون الذين يملكون كل عناصر الإنتاج، (أدوات الإنتاج، المواد الخام، العمل)، وقد كان الحرفيون المستقلون يعملون بأبدانهم وأدواتهم[82]، وذلك في ورشات، أو في معامل صغيرة خاصة بهم، إذ كانت أغلب الحرف وراثية، أو ذات طابع عائلي[83]. وقد تمركزت معظم تلك الصناعات في المدن، لأسباب تقنية وإدارية من جهة، ولسهولة إشراف الدولة على العمال من ناحية ثانية[84].

ومن أهم أنواع الحرف المحددة للاستثمار التي عرفت خلال **العصر المرابطي**، حرفة **الخياطة** التي تعد آخر عملية تخضع لها الأثواب قبل أن تصبح جاهزة للاستعمال، و**الدباغة** التي صنفت ضمن الأعمال القذرة، بالإضافة إلى **الحدادة** التي عدت من المهن المهمة الضرورية[85]، كونها مادة أساسية لصناعة بعض الأدوات الفلاحية والصناعية وصناعة السفن، وتشكل حرفة **النجارة** أشهر الصنائع في المغرب **المرابطي**، ومن الطبيعي أن يزداد الاهتمام بالنجارة، لاسيما في ظل تصاعد الاضطرابات والفتن، وذلك من أجل صناعة آلات الحرب، أما الصناعات **الفخارية**، فتعد من الأعمال المتخذة من الأرض والنار، فالوسائل الضرورية المستعملة لهذه الصناعة، تمثلت في الأفران والحطب[86]، وغيرها من الصناعات.

أما **القسم الثاني:** يعمل في القطاع الخدمي، التي تتعلق بخدمة المدن والتجارة والصناعة، ومن أهم أمثلة تلك الحرف، هي: حرفة **البناء:** وهؤلاء يعملون في بناء وترميم دور السكن والمنازل، ومختلف أنواع البناء[87]، و**الحمالين:** وتتمثل مهمة هؤلاء في نقل السلع والبضائع، على ظهورهم أو على ظهور دوابهم[88]، وقد تعددت مشكلاتهم مع أصحاب الأحمال، وترأسهم أمين يتولى النظر فيما يتعلق بشؤونهم، وهو حلقة الوصل بينهم وبين المحتسب[89]، وبالرغم من الدور الحيوي الذي قام به الحرفيون والصناع، في تأمين حاجيات المجتمع الصناعية، إلا أنه لم تخفف عنهم النظرة الاجتماعية المشوبة بالازدراء والتعالي، كونهم ينتمون إلى طبقة العامة.

ج- **الفلاحون:** تعد هذه الشريحة من أهم الشرائح في المجتمع **المرابطي**، فهي من تزود الناس بما يحتاجون إليه من المواد الغذائية، وقد كان عدد العاملين في الفلاحة والزراعة كبير، وقد سعت الدولة المرابطية إلى تطوير الزراعة وانعاشها، وذلك من خلال إقطاع الجند أرضاً يزرعونها، وينتفعون بخيراتها، مقابل اداء واجب الدفاع عن الوطن، كم ارتفعت مكانة المزارعين، وازداد إقبالهم على زراعة أراضيهم بسبب السياسة الضريبية الحكيمة للدولة المرابطية[90]، وتقسم هذه الفئة إلى عدة أقسام، وهم:

القسم الأول (الملاكين الصغار)**:** تحرر هؤلاء من الواجبات الإقطاعية، كانوا يقيمون في أراضيهم، وتشاركهم نساؤهم وأفراد عائلاتهم في العمل، وكان هؤلاء يتعاونون فيما بينهم في إنجاز أعمالهم الزراعية، معتمدين على الوسائل المستخدمة آنذاك[91]، ويبدو أن هذه الفئة الاجتماعية قد تضررت معيشياً بسبب ضعف وسائل الإنتاج، حيث أصبحت الأرض غير كافية لحياة الترف للفلاحين وأسبابه، وإنما هي في الغالب لسد حاجة الفلاح، والحصول على ضرورات العيش، وقد ميزهم مفكري تلك المرحلة عن أصحاب الملكيات الكبرى بكونهم من جهلة الفلاحين[92].

القسم الثاني: فلاحين فقراء (مشاركين)**:** المرتبطون بعقود الشراكة، وما يلازمها من شروط تعسفية، والملاحظ أن هذه الفئة شكلت الغالبية من المزارعين، وقد عانت هذه الشريحة من أصناف الاستغلال والقهر، من قبل الإقطاعيين وملاك الأراضي وبعض ممثلي السلطة[93].

القسم الثالث: الفلاحون المتنقلون، وهؤلاء لا يملكون أرضاً، بل يلجؤون إلى الملاك وأصحاب الضيع من أجل القيام بالمزارعة، وكان يجب على المزارع أن يتولى الحرث والبذر وجني المحصول، مقابل الحصول على حصة من المحصول يتم الاتفاق عليها[94]. كان هؤلاء يعانون من البؤس، إذ أن مستواهم المعيشي والاجتماعي كان يتجه نحو الانحطاط، وعلى وجه الخصوص خلال مرحلة ضعف **الدولة المرابطية**، إذ عانوا من الاستغلال والقهر من قبل الإقطاعيين وملاك الأرض[95]، وعلى الرغم من دور المهم لتلك الفئة في المجتمع، من خلال تامين الغذاء للسكان، إلا أنها لم تحظى بأدنى قدر من الاحترام، ووصفوهم بأهل السفلة[96]، وبأنهم لا علم عندهم ولا صلاح لرأيهم على طول ممارستهم لهذه المهنة.

2- الفئة الدنيا (المهمشون): وهي الطبقة الدنيا في المجتمع، وتتميز بكونها الطبقة المسحوقة في المجتمعات كافةً، إذ يمنع عليهم المطالبة بأي حقوق، وتقع عليهم كل الأعمال المجهدة، وتقسم هذه الطبقة إلى عدة فئات، وهي:

أ- **العبيد (الرقيق):** يشكل العبيد شريحة عريضة من طبقة العامة، عمل هؤلاء في الأعمال المنزلية والعسكرية على حدٍ سواء، وقد تم جلبهم إلى الدولة من خلال توسع **المرابطين** وحروبهم، مما أدى لأسر عدد كبير وبيعوا في الأسواق المغربية، سمي هؤلاء بأسماء عدة، منها الزنج وقوقو وجناوة[97]، إلا أن هذه التسمية ما لبثت أن بُدِلت، وأصبحت تطلق على كافة العبيد الذين يعملون لديهم من خارج المغرب[98]. وقد كان لهؤلاء استخدامات عدة، عسكرية واجتماعية.

ففي **المجال العسكري** كان عبيد **السودان** أفضل العبيد للخدمة، لما تمتعوا به من شدة وقوة وصحة أبدان، فضلاً عما امتازوا بهِ من الشجاعة الإقدام والصبر[99]، وهذا ما شجع الأمراء **المرابطين** على تطويعهم استخدامهم في الجيش، فازداد عددهم بشكل كبير، وقد تجلى ذلك من خلال تشكيل الأمير يوسف بن تاشفين لحرسه الخاص من العبيد والصقالبة[100]، وفي موقعة **الزلاقة**، اشترى ابن تاشفين ألف من العبيد السودان شاركوا في قتال النصارى في **الأندلس**[101].

وفي **المجال الاجتماعي:** استخدم هؤلاء في المنازل، وفي بعض الأعمال الزراعية أيضاً[102]، أما بالنسبة للجواري فقد استخدمن على نحو واسع في منازل أبناء الطبقة الأرستقراطية، وقد انتشرت عادة شراء الجواري عند المرابطين[103]، حتى وصلت إلى طبقة الأمراء، فاتخذوا من الجواري خليلات، ومن هنا فقد حظيت النساء بحياة كريمة في قصور الخلفاء والأثرياء، وتم تعليمهن وتأديبهن على عكس الرجال العبيد، الذين عملوا في أقسى الأعمال، وتحت أسوء الظروف.

كان لازدياد الطلب على العبيد من قبل الطبقة الخاصة، وإقبال الخلفاء على تجنيدهم، واستخدامهم كحرس لبلاطهم، دوراً أساسياً في قيام أسواق واسعة للنخاسة، أهمها سوق مراكش[104]، وقد حرم هؤلاء من حقوقهم كافةً، حتى حرية أنفسهم، فلم يلقَ هؤلاء المعاملة الحسنة، حيث تعرضوا للسباب والشتائم، وغالباً ما كان الحديث عنهم وعن عيوبهم في كتب الفقه مقروناً بالكلام عن البهائم، ويبدو أن أسيادهم كانوا يبخلون عليهم في منحهم قوت يومهم، مما يضطر هؤلاء إلى الفرار، لكنهم قد لا يجدون ما يأكلونه، لعدم معرفتهم بأي مهنة، فيضطرون لممارسة أعمال السلب والنهب وقطع الطريق، وسرقة أموال الناس بغير رضاهم[105].

ب- المتسولون: يعد المتسولون إحدى الطبقات العامة، وقد تعرضت هذه الطبقة إلى الإهمال والنسيان، لذلك فهي تدخل ضمن الفئات المهمشة في المجتمع المرابطي، ويرجع أسباب تهميش هذه الفئة إلى أمور عدة، هي: التحولات الاقتصادية التي شهدها المجتمع المغربي، واستفحال الفوارق الطبقية وازدياد حركة البذخ والترف، وما نتج عنه من غلاء فاحش. وكونها طبقة غير

منتجة في المجتمع، وتشكل عبئاً على كاهل الدولة **المرابطية** التي عجزت عن دمجهم في كيان المجتمع، فضلاً عن بعدهم عن المواقع السياسية والعلوم المعرفية[106].

وقد سلك هؤلاء طرقاً مختلفة لكسب المال، فمنهم من كان يتخذ من ساحات المساجد والجوامع (كمسجد علي بن يوسف) مكاناً لتجمعهم، فيعملون على الانزواء والانقطاع فيها بهدف كسب الصدقة والإحسان[107]، أو يستغلوا أماكن تجمع الناس في الأسواق والطرق، ومنهم من يدق أبواب المنازل[108]. ولكسب عطف الناس وحنانهم فقد اتبعوا أساليب عدة، كتخبط في الأسواق وإيهام الناس بالصرع، أو إظهار الأورام والقروح البشعة، أو يظهر بأنه مقعد، وغيرها من التصرفات التي تهدف لأخذ أموال الناس بالباطل. وقد انتشر التسول في مختلف أرجاء البلاد، كالمدن المغربية الكبرى والأندلس على حد سواء[109]. وقد سعت السلطات المرابطية للقضاء على هذه الظاهرة، من خلال تشديد الرقابة عليهم من قبل موظفي الحسبة، الذين عاقبوا كل من يلجأ للحيل من أجل الحصول على أموال الناس بالباطل، وصدرت الكثير من الفتاوي التي حضت على منع المساكين من السؤال والتسول في المساجد[110]، كما لعب المتصوفة دوراً مهماً في محاربة تلك الظاهرة، عندما سعوا لضرب وإهانة وشتم كل شخص سليم يتسول، إلا أنهم كثيراً ما كانوا يعطفون على هؤلاء ويقدمون لهم الملابس والأطعمة لتخفيف ضغوط الحياة عنهم[111].

ثالثاً: الخاتمة:

في ختام هذا البحث، يلاحظ أن المرابطين تمكنوا من تأسيس دولة قوية لهم، شملت كلاً من المغرب والأندلس، وقد تمكنت هذه الدولة وعلى الرغم من التباين الموجود بين فئات شعبها من بناء كيان سياسي واجتماعي واقتصادي قوي، معتمدةً في ذلك على أسس دينية إصلاحية،وبعد دراسة الفئات في المجتمع المرابطي، تبين أنه مقسم إلى عدد من الطبقات والتي تضم بدورها عدد من الفئات، منها الطبقة الحاكمة التي ترأست هذه الفئات من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وعلى رأس هذه الفئة الخلفاء ،الذين قادوا البلاد نحو التطور والازدهار، وساهموا بشكل فعال في ترسيخ حكم الدولة، لكن القضية التي أثرت سلباً في هذا النظام، تحويل حكم الشورى إلى الحكم الوراثي، مما سمح بوصول خلفاء لا أهلية لهم إلى الحكم في البلاد، فكان هؤلاء ألعوبةً بيد الوزراء الأقوياء، الذين أصبحوا الحكام الفعليين، وساهموا بشكل مباشر في استقرار الدولة، بعد أن كانوا أدوات لتنفيذ أوامر الخلفاء الأقوياء، كما لعب الفقهاء دوراً مهماً في الحياة العامة، فمن خلالهم طبقت الدولة سياستها تجاه الرعية، معتمدين على التفاف شرائح المجتمع المتنوعة حولهم، ومع دخول الفساد إلى هذه الطبقة، وبعدهم عن القضايا الدينية، فقدت تلك الطبقة شعبيتها بين الناس، وتراجعت حظوتها لدى الحكام.

أما الطبقة الثانية، تمثل المقربون من الحاكم بما فيها من فقهاء ووزراء وأمراء وقادة وطلبة العلم،وتعيش هذه الفئة وفق أوامر السلطة مقابل الترف الاقتصادي والاجتماعي التي تعيش فيه.

وتشكلت الطبقة الثالثة من، التجار والحرفيين وأصحاب المهن، وحاولت أن ترتقي بمستواها للتقرب من السلطة الحاكمة، ولكن الضرائب قد أثقلت كاهلها.

وتكونت الطبقة الرابعة من، الباعة الصغار والفلاحين والأيتام والعبيد والمهمشين، الذين نعتوا بكل أوصاف التذليل والتحقير، وهؤلاء يمثلون الأغلبية الساحقة في المجتمع، لكنها كانت أكثر الطبقات معاناةً وتعاسةً، وكانت مساعيهم تتجه إلى تأمين قوت يومهم، أو تحسين واقعهم المعاشي، لكنها بقيت المؤثر والمتأثر الأكبر بالمتغيرات التي تصيب المجتمع، بمناحيه كافةً (السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية)، كونها الطبقة الأضعف، والأكثر بعداً عن قضايا المجتمع، فضلاً عن عدم قيام ولاة الأمر في مراحل الزمن المختلفة إلى إيجاد حلول ناجعة لمشكلات تلك الطبقة.

هوامش البحث:

[1] – تضم بلاد المغرب الأقصى خمسة أقاليم، وهي: (إقليم فاس، ومراكش، والسوس، والدرعة، وتافيلات). انظر: ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ، دار الفكر، بيروت، 1979م،ج6، ص101.

[2]– السلاوي (أحمد بن خالد الناصري): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح: (جعفر الناصري ومحمد الناصري)، دار الكتاب، الدار البيضاء،1954م، ج1، ص33.

[3]– المرابطون (أو الملثمون): قبائل بربرية تنتسب إلى صنهاجة، ومن أهم قبائلهم (جزولة– لمطة– جدالة– مسوفة– دكالة– هسكورة– وتتزعمهم لمتونة)، وقد أطلق ابن ياسين هذه التسمية على اتباعه الذين بلغ عددهم ألف رجل، لما علمه فيهم من نصرة للإسلام وشدة بأسهم في الجهاد، تيمناً بقوله تعالى "يا أيها الذين أمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون". أم الملثمون أو أهل اللثام فاسم اختص به قسم كبير من قبائل صنهاجة الصحراء. حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء،ط1، 2000م، ج1، ص154؛ الخليفة (حامد محمد): يوسف بن تاشفين بطل الزلاقة وقائد المرابطين، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2004من ص11–12.

[4]– عبد الله بن ياسين الجزولي: أصله من قرية تاماتاوت في طرف صحراء غانة، تلقى علومه على يد فقيه بلاد السوس، ثم رحل إلى الأندلس واجتهد في تحصيل العلوم، عاد إلى المغرب واستقر في مساكن قبيلة جدالة عام (430هـ/1038م)، وبدأ بتعليم أهالي القبيلة اللغة العربية، والإرشاد الديني بلهجة أهل الصحراء (البربرية)، لكن تعاليمه اصطدمت بمصالح الأمراء والأشراف فثاروا عليه وكادوا يقتلوه، فترك القبيلة وانتقل إلى قبيلة لمتونة، ثم اختار رباط على مصب نهر السنغال، حتى تلقى دعوة من أهالي درعة وسجلماسة عام447هـ/ 1055م، تطلب منه المساعدة على تخليص بلادهم من ظلم الحكام، وتعليمهم أسس الدين الإسلامي. البكري (أبي عبيد الله): المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص165؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح:(سهيل زكار وعبد القادر زمامة)، دار الرشاد الحديثة للطباعة، الدار البيضاء، ط1، 1979م، ص20.

[5]- يحيى بن إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجدالي (440هـ-1048م)، حيث كانت الزعامة في قبيلة جدالة لأسرته، فكان أميراً في قومه، يعد أول أمير للمرابطين، وأول من أسس الحركة المرابطية برفقة عبد الله بن ياسين الجزولي. انظر: مؤنس (حسين): معالم من تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد الحديث، القاهرة، ط5، 2000م، ص182. و السلاوي: الاستقصا، مصدر سابق، ج1، ص99.

[6]- يحيى بن عمر اللمتوني: من زعماء قبيلة لمتونة، اختاره عبد الله بن ياسين زعيماً للحركة بعد وفاة ابن إبراهيم، قتل في إحدى معاركه مع قبيلة برغواطة عام(447هـ/ 1055م). نصر الله (سعدون عباس): دولة المرابطين في المغرب والأندلس(عهد يوسف بن تاشفين)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م، ص31.

[7]-أبو بكر بن عمر اللمتوني(400هـ/1007م-480هـ/1087م)، أحد تلاميذ الشيخ عبد الله بن ياسين الجزولي، وشيخ قبيلة لمتونة بعد وفاة أخيه عام (447هـ/1056م)، سيطر على العديد من المناطق. ابن عذارى (أحمد بن محمد): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: (بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013م، ج3، ص11-13.

[8]- واحة في نواحي بلاد البربر، كانت واحة عامرة، ومحاطة بأسوار عالية، جعلها المرابطون عاصمة لهم في بداية أمرهم، إلا أنها فقدت جزء كبير من أهميتها بعد تأسيس مدينة مراكش، ونقل المرابطين عاصمتهم إليها، إلا أنها استعادت جزء من هذه الأهمية في عهدي الموحدين والمرينيين وأصبحت تدعى مراكش الثانية. كربخال (مارمول): أفريقيا، تر(محمد الحجي ومحمد زنيبر وأخرون)، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989م، ج2، ص60-61.

[9]- تعد أكبر مدن المغرب الاقصى، بناها الخليفة يوسف بن تاشفين عام(465هـ/ 1072م)، وقد عظم شأن هذه المدينة في عهدي المرابطين والموحدين، وعظمت تجارتها، وهي أكثر بلاد المغرب بساتين وحدائق، فضلاً عن تطور صناعتها، لذلك تنافس الناس إلى البناء والسكن فيها. الحميري (محمد عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار،تح:(إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص540- 541.

[10]- إحدى قبائل صنهاجة، وهي من القبائل الذين ينتجعون المراعي، ويقيمون في الصحراء، وكانت مضاربهم تمتد حتى أقصى جنوب المغرب على نهر السنغال، وقد تميزت هذه القبيلة

بكثرة عدد أفرادها، لذلك تحملت عبء الدعوة المرابطية في مراحلها الأولى، فكان لتلك القبيلة موقع متميز بين القبائل المؤسسة للدولة المرابطية. دندش(عصمت عبد اللطيف): دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا (430-515هـ /1038-1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م، ص32؛ حسن(علي حسن): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م، ص297-298.

[11]- يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورفيت بن وارتقطين بن منصور بن مصالة الصنهاجي اللمتوني الحميري، تلقى علومه من أفواه المحدثين والوعاظ، ولم يتعمق بالتعليم الديني، تولى قيادة جيش المرابطين في المرحلة بين (448-452هـ/ 1056-1060م)، تحت زعامة ابن عمه أبو بكر بن عمر، ومن ثم ناب عن ابن عمه في حكم المغرب في الفترة بين 452-454هـ/ 1060-1062م. نصر الله (سعدون عباس): دولة المرابطين، ص35-41.

[12]- وصل الأمير أبي بكر بن عمر من الصحراء، بعد أن أنهى حروبه فيها، وجد أن يوسف بن تاشفين قد أخضع البلاد لحكمه، ووجد أنه قد عزم على الاستبداد بالمُلك، بعد أن أجزى العطايا والإحسان على رعيته، لذلك شعر أبو بكر بعدم رغبة يوسف بالتنازل له عن الحكم، لذلك سارع إلى التنازل عن الحكم لصالح يوسف، وعاد إلى الصحراء ليستكمل حروبه فيها، إلى أن قتل على يد السودانيين عام (480هـ/ 1088م). مؤلف مجهول: الحلل الموشية ، ص20-28.

[13]- القسم الشمالي بزعامة يوسف بن تاشفين، اتخذ من مراكش مقراً له، وميدان لنشاطه في المغرب والأندلس، بينما القسم الجنوبي بزعامة أبو بكر بن عمر، وكانت أفريقيا الغربي مقر نشاطه، وسعى لنشر الإسلام فيها، ويفصل بينهما الصحراء. مؤنس (حسين): معالم في تاريخ المغرب والأندلس ، ص188.

[14]- استولى ابن تاشفين على مدينة فاس عام(467هـ/1075م)، ثم بلاد الملوية، وفتح مدينة تلمسان عام(468هـ/1076م)، حتى عام(484هـ/ 1091م) عندما بسط بن تاشفين سيطرته على المنطقة الواقعة بين الجزائر شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، ومن جبال البرانس شمالاً حتى جبال تشاد جنوباً. وفي بلاد الأندلس قاد ابن تاشفين معارك عدة مع الإسبان والأوروبيين، ومن أهم تلك المعارك معركة الزلاقة التي نجح فيها من تحقيق الانتصار على القوات الإسبانية والقوى المتحالفة معها عام479هـ/1086م. الفاسي (علي بن أبي زرع): الأنيس المطرب بروض القرطاس (في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،

1971م، ص154؛ بلغيث (محمد أمين): نظرات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2007م، ص90.

[15]- يعد محمد بن تومرت (473-524هـ/1080-1130م) المؤسس الفعلي لحركة الموحدين وزعيمها الروحي، الذي أقامها على أسس دينية، ونجحت في إسقاط حكم المرابطين، وتأسيس دولة مترامية الأطراف ضمت شمال أفريقيا والأندلس، ويعد عبد المؤمن بن علي المؤسس الفعلي للإمبراطورية الموحدية، وحكم بعد وفاته عدد من الخلفاء، وقد استمرت تلك الدولة حوالي قرن ونصف بين عامي (515-668هـ/ 1121-1269م). البيذق (أبي بكر الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م، ص34.

[16]- بوتشيش (إبراهيم القادري): المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط1993،1م، ص16-17.

[17]- مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص129.

[18]- حسن (علي حسن): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص53.

[19]- الخليفة أحمد بن عبد الله (المستظهر بالله): ولد عام(471هـ/1078م)، تولى الحكم و عمره لا يتجاوز السادسة عشر، وقد قسمت الدولة في عهده إلى دويلات عدة (كالمرابطين وبني زيري في شمال أفريقيا والفاطميين في مصر وغيره)، وكان من خيار بني العباس لين الجانب، ويسارع إلى عمل البر. بك (محمد الخضري): محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م، ص402.

[20]- يرجع سبب إرسال ابن تاشفين بعثته إلى بغداد إلى موقف فقهاء الأندلس من حملته على بلادهم، الذين قالوا له: "أنه لا تجب طاعتك على المسلمين حتى يكون لك عهد من الخليفة"، وعندما عاد الوفد إلى مراكش، كان محملاً بالهدايا وكتاب تقليده حاكماً على المغرب وخلع. النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الآرب في فنون الأدب، تح: (عبد المجيد ترحيني)، دار الكتب العلمية، بيروت)، د.ط، د.ت، ج24، ص150.

[21]- محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة،1956م، ص341.

[22]– أشباخ (يوسف): تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م، ج1، ص273.

[23]– يذكر ابن أبي الزرع عن حياة يوسف بن تاشفين، فقال أنه كان: "متقشفاً في ما فتح الله عليه من الدنيا، لباسه الصوف ولم يلبس غيره ، وأكله الشعير ولحوم الإبل وألبانها، ولم ينتقل عنه مدة عمره". الفاسي (علي بن أبي زرع): روض القرطاس، ص87.

[24]– محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين، ص422.

[25]– بوتشيش، (إبراهيم القادري): مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، د.م، د.ت، ص132–133.

[26]– محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين، ص343.

[27]– نصر الله (سعدون عباس): دولة المرابطين، ص31.

[28]– حسن(علي حسن): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص68.

[29]– من أهم الأمثلة على الخلافات بين أحفاد ابن تاشفين، عندما عيّن علي بن يوسف ابنه سير لولاية العهد، وتاشفين والياً على الأندلس، وهذا ما أدى إلى نشوب خلاف بين الأخوين حتى وفاة سير في عهد أبيه، كما رفض أبو بكر بن علي بن يوسف وكان والياً على إشبيليا على تعيين أخاه سير في ولاية العهد، وهذا ما قاد إلى عزله ونفيه إلى الصحراء. حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1997م، ص256–260.

[30]– حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري، ص261–262.

[31]– مؤنس (حسين): الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين (سقوط سرقسطة بيد النصارى 512هـ/ 1118م)، مكتبة الثقافة الدينية، د.م ،1991م، ص9.

[32]– مدينة عظيمة بالأندلس، وهي عاصمة البلاد، وهي حصينة بسور من الحجارة، وتتشابك أبنيتها مع بعضها، تراجع دورها السياسي والحضاري في عهد ملوك الطوائف، وخربت المدينة بسبب عدو وجود سلطان قوي يرجع إلى أمره. الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، تح:(فريد عبد العزيز الجندي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ، د.ت، ج4، ص368؛ ابن عذارى: البيان المغرب، ج3، ص72.

[33]–حركات (إبراهيم): النظام السياسي والحربي في العهد المرابطي، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، د.ت، ص65.

[34]– حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري، ص263.

[35]– بوتشيش (إبراهيم القادري): مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1997م، ص135.

[36]– محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين، ص384.

[37]– أشياخ (يوسف): تاريخ الأندلس، ، ج2، ص234–235.

[38]– بوتشيش (إبراهيم القادري): مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص135.

[39]– من أمثال بني عائشة وبني الحاج وبني ميمون الذين احتكروا قيادة الأسطول البحري لعائلتهم. حركات (إبراهيم): النظام السياسي والحربي، ص161.

[40]– بوتشيش (إبراهيم القادري): مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص137.

[41]– يرجع وجود منصب الوزير تاريخياً إلى الدولة الفارسية، وظهرت كمنصب فعلي خلال العهد العباسي، فاتخذت كل الدول التي حكمت العالم الإسلامي وزير يعاون الخليفة في الحكم. كانت كلمة وزارة تعني الإعانة وهي مأخوذة من المؤازرة، أو الوزر بمعنى الاشتراك مع السلطان لتحمل أوزاره وأثقاله. جواتياين (س. د): دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تر(عطية القوصي)، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م، ص79–105.

[42]– وزارة تفويض: أي أن يستشير الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور، ويجب أن يملك شروط معينة كالعلم والحكمة والتواضع والفهم، وأن يكون من أهل الكفاية فيما وكل إليه من أمر. أما وزارة التنفيذ: فلها شرطين، الأول: أن يختص الوزير في مطالعة الإمام لما أجراه من تدابير ونفذها. والثاني: تصفح الإمام أفعال الوزير وتدابيره ليقر منها ما وافق الصواب ويستدرك ما خالفه. ويجوز لهذا الوزير أن يحكم بنفسه، ويقلد الحكام، وأن يتولى الجهاد بنفسه، وأن ينظر في المظالم. الماوردي (أبي الحسن علي بن محمد): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح:(أحمد مبارك البغدادي)، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط1، 1989م، ص30–33.

[43]– هوبكنز (ج. ف. ب): النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر:(توفيق الطيبي)، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1980م، ص42.

[44]– العبادي (أحمد المختار): دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.م، د.ت، ص152–153.

[45]– بروفنسال (ليفي): ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1955م، ص14.

[46]– بوتشيش (إبراهيم القادري): مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص138–139.

[47]– الولاية العامة ولها نوعين، إمارة استكفاء: التي تنعقد على اختيار أمير على عمل محدد، أو إمارة استيلاء: بعقد على اضطرار. أما الإمارة الخاصة: فمقصور عمل الأمير على تدبير أمر الجيش، وسياسة الرعية، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات. الماوردي: الأحكام السلطانية، ص40– 43.

[48]– نصر الله (سعدون عباس): دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص165–166.

[49]– دندش (عصمت عبد اللطيف): الأندلس في نهاية عصر، ص125–126.

[50]– حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري، ص265.

[51]– البيلي (محمد بركات): الزهاد والمتصوفة في بلاد المغرب والأندلس حتى القرن الخامس الهجري، دار النهضة العربية، القاهرة، 1993م، ص61–63.

[52]– محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين، ص158.

[53]– شلبي (أحمد): التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في جميع العصور الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1963م، ص140.

[54]– حسن(علي حسن): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص 336–337.

[55]– دندش (عصمت عبد اللطيف): الأندلس في نهاية عصر، ص125.

[56]– المراكشي (عبد الواحد): وثائق المرابطين والموحدين، تح: (حسين مؤنس)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 1997م، ص39.

[57]– ينتسب إلى قبيلة هرغة، أحد بطون قبيلة مصمودة الكبيرة، كانت أسرته من أواسط القوم، لاتملك الثروة والمال، لكنهم تميزوا بمكانة دينية عالية، للمزيد: انظر: النجار (عبد المجيد): المهدي بن تومرت (حياته آراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب)، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1983م، ص23–33.

[58]- حسن(علي حسن): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص336-337.

[59]- الصفدي (صلاح الدين خليل): نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1911م، ص10.

[60]- فهد (بدري محمد): العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري، (بحث تاريخي في الحياة الاجتماعية لجماهير بغداد)، مطبعة الإرشاد، بغداد ،1991م، ص12.

[61]- بوتشيش (إبراهيم القادري): مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص169.

[62]- طرخان (إبراهيم علي): النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص310.

[63]- بوتشيش (إبراهيم القادري): إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناسة في العصر الوسيط، جامعة مولاي إسماعيل، المغرب ، 1997م، ص40.

[64]- ابن خلدون: المقدمة، مصدر سابق،ج2، ص83.

[65]- التميمي الفاسي (محمد بن عبد الكريم): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، (قسمين، القسم الأول)، تح: (محمد شريف)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1، 2002م، ص195.

[66]- المراكشي (ابن القطان حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، درسه وقد له وحققه: محمود علي مكي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م، ص268.

[67]- الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحيى): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقيا والأندلس والمغرب، (14جزء، الجزء6)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م، ص155.

[68]- التادلي (أبي يعقوب يوسف بن يحيى الملقب ابن الزيات): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: (أحمد توفيق)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997م، ص168- 359.

[69]- ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص84.

[70]- حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري، ص339-349.

[71]- ابن القطان: نظم الجمان، ص268.

[72]– يوسف (جودت عبد الكريم): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط في القرنين الثالث والرابع الهجريين (9– 10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص86.

[73]– الإشبيلي (بكر بن إبراهيم): التيسير في صناعة التسفير، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1960م، ص40.

[74]– المراكشي (عبد الملك): الذيل والتكملة، تح: (إحسان عباس وآخرون)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م، ص37–198.

[75]– الإشبيلي: التيسير في صناعة التسفير، ج7–8، ص11–39.

[76]– الناصري: الاستقصا، ج1، ص186.

[77]– ابن صاحب الصلاة (عبد الملك): المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تح: (عبد الهادي التازي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م، ص347.

[78]– جواتياين (س. د): دراسات في التاريخ الإسلامي، ص165.

[79]– ابن عذارى: البيان المغرب، ص147.

[80]– بوتشيش (إبراهيم القادري): العوام في مراكش خلال عصري، مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث، الدار البيضاء، ط1، 1989م، ص120،121.

[81]– حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري، ص353–339.

[82]– التادلي (أبي يعقوب): التشوف، ص319–384.

[83]– المراكشي: الذيل والتكملة، مصدر سابق، ص37–198. ومجهول: الاستبصار، ص188.

[84]– جواتياين (س.د): دراسات في التاريخ الإسلامي، ص167.

[85]– مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص153.

[86]– ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص48.

[87]– بوتشيش (إبراهيم القادري): العوام في مراكش خلال عصري، مراكش، ص121.

[88]– المراكشي (عبد الواحد): وثائق المرابطين والموحدين، تح: (حسين مؤنس)، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ط1، 1997م، ص596.

[89]– ابن عبدون (محمد بن أحمد التجيبي): رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة، ص53.

[90]– حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري، ص339–359.

[91]– من أهم الوسائل الزراعية المحراث الخشبي الذي تجره الحيوانات، والرفش والكرك والمجرفة، وإذا كانت الأرض واسعة استعملت الجواريف الكبيرة التي تجرها الأبقار، واستعمل المنجل للحصاد. يوسف (جودت عبد الكريم): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص22.

[92]– ابن العوام (يحي بن محمد بن أحمد الإشبيلي): الفلاحة الأندلسية، تح: (سمير الدروبي وآخرون)، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ط1، 2010م، ج1، ص34–39.

[93]– طرخان (إبراهيم علي): النظم الإقطاعية، ص311–312.

[94]– يوسف (جودت عبد الكريم): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص23.

[95]– الإقطاع والملاك: هم من يملكون الأراضي الواسعة والضياع، ويسكنون في المدن أو قصور في أراضيهم، وكانوا يتخذون وكلاء على أراضيهم، يشرفون على أرزاقهم وأراضيهم. موسى (عز الدين عمر): النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، ص186.

[96]– ابن خلدون: المقدمة، ص397.

[97]– بوتشيش (إبراهيم القادري): مباحث في التاريخ الاجتماعي، ص48.

[98]– مجهول: الاستبصار، ص46.

[99]– ابن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص195.

[100]– نصر الله (سعدون عباس): دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ص171.

[101]– ابن عذارى: البيان، ج4، ص230.

[102]– الونشريسي: المعيار، ج1، ص302.

[103]– مجهول: الاستبصار، ص215.

[104]– التادلي: التشوف، ص224.

[105]– يوسف (جودت عبد الكريم): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ص426.

[106]– بوتشيش (إبراهيم القادري): الإسلام السري في المغرب، ص161.

[107]– التميمي: المستفاد في مناقب العباد، ص129.

[108]– التادلي (أبي يعقوب): التشوف، ص310–466.

[109]– بن الذيب (عيسى): المغرب والأندلس في عصر المرابطين (دراسة اجتماعية واقتصادية 480–540هـ/ 1056–1145م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (جامعة الجزائر)، 2008–2009م، ص197،198.

[110]– بروفنسال (ليفي): رسالة ابن عبد الرؤوف في الحسبة، ص74.

[111]– المكناسي (أحمد بن القاضي): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ص219.

مصادر ومراجع البحث:

أولاً: المصادر:

1- الإشبيلي (بكر بن إبراهيم): التيسير في صناعة التسفير، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1960م.

2- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر، بيروت، 1979م.

3- ابن صاحب الصلاة (عبد الملك): المن بالإمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، تحقيق: عبد الهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987م.

4- ابن عذارى (أحمد بن محمد): البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: (بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2013م.

5- ابن العوام (يحي بن محمد بن أحمد الإشبيلي): الفلاحة الأندلسية، تح: (سمير الدروبي وآخرون)، مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، ط1، 2010م.

6- البكري (أبي عبيد الله): المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، دار الكتب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

7- البيذق (أبي بكر الصنهاجي): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

8- التادلي (يوسف بن يحيى): التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تح: (أحمد توفيق)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997م.

9- التميمي الفاسي (محمد بن عبد الكريم): المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، (قسمين، القسم الأول)، تح: (محمد شريف)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، تطوان، ط1، 2002م.

10-الحموي (ياقوت بن عبد الله): معجم البلدان، تح:(فريد عبد العزيز الجندي)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

11- الحميري (محمد عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار تح:(إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

12-الفاسي (علي بن أبي زرع): الأنيس المطرب بروض القرطاس (في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس)، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1971م.

13-الماوردي (علي بن محمد): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: (أحمد مبارك البغدادي)، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، ط1، 1989م.

14-مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح:(سهيل زكار وعبد القادر زمامة)، دار الرشاد الحديثة للطباعة، الدار البيضاء، ط1، 1979م.

15-المراكشي (حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تح: (محمود علي مكي)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990م.

16-المراكشي (عبد الواحد): وثائق المرابطين والموحدين، تح: (حسين مؤنس)، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ط1، 1997م.

17-المراكشي (عبد الملك): الذيل والتكملة، تح:(إحسان عباس وآخرون)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2012م.

18-المكناسي (أحمد بن القاضي): جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

19-الناصري (أحمد بن خالد): الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى، تح: (جعفر الناصري ومحمد الناصري)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م.

20-النويري (أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الآرب في فنون الأدب، تح:(عبد المجيد ترحيني)، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

21-الصفدي (صلاح الدين خليل): نكت الهميان في نكت العميان، المطبعة الجمالية، القاهرة، 1911م.

22-الونشريسي (أحمد بن يحيى): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقيا والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

ثانياً: المراجع العربية:

1- الخضري(محمد): محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003م.

2- أشباخ (يوسف): تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عنان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2011م.

3- بلغيث (محمد أمين): نظرات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2007م.

4- بوتشيش (إبراهيم القادري): الإسلام السري في المغرب، ابن سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1995م.

- إسهامات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لمدينة مكناسة في العصر الوسيط، جامعة مولاي إسماعيل، المغرب، 1997م.

-العوام في مراكش خلال عصري، مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي، مركز الدراسات والأبحاث، الدار البيضاء، ط1، 1989م.

-المغرب والأندلس في عصر المرابطين (المجتمع- الذهنيات- الأولياء)، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط1، 1991م.

5- بن الذيب (عيسى): المغرب والأندلس في عصر المرابطين (دراسة اجتماعية واقتصادية 480-540هـ/ 1056-1145م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (جامعة الجزائر)، 2008-2009م.

6- حركات (إبراهيم): المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 2000م.

-حركات (إبراهيم): النظام السياسي والحربي في العهد المرابطي، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء ، د.ت.

7- حسن(علي حسن): الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، مصر، ط1، 1980م.

8- حسين (حمدي عبد المنعم محمد): التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والأندلس في عهد المرابطين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م.

9- الخليفة (حامد محمد): يوسف بن تاشفين بطل الزلاقة وقائد المرابطين، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط1، 2004م.

10- دندش(عصمت عبد اللطيف): دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا (430-515هـ /1038-1121م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988م.

11- شلبي (أحمد): التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (دراسة تحليلية شاملة للتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية في جميع العصور الإسلامية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1963م.

12- طرخان (إبراهيم علي): النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.

13- العبادي (أحمد المختار): دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د.م، د.ت.

14- فهد (بدري محمد): العامة في بغداد في القرن الخامس الهجري، (بحث تاريخي في الحياة الاجتماعية لجماهير بغداد)، مطبعة الإرشاد، بغداد،1991م.

15- محمود (حسن أحمد): قيام دولة المرابطين (صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1956م.

16- كربخال (مارمول): أفريقيا، تر:(محمد الحجي ومحمد زنيبر وأخرون)، دار نشر المعرفة، الرباط، 1989م.

17- مؤنس (حسين): معالم من تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد الحديث، القاهرة، ط5، 2000م.

الثغر الأعلى الأندلسي في عصر المرابطين (سقوط سرقسطة بيد النصارى 512هـ/ 1118م)، مكتبة الثقافة الدينية، د.م، 1991م.

18- النجار (عبد المجيد): المهدي بن تومرت (حياته آراؤه وثورته الفكرية والاجتماعية وأثره بالمغرب)، دار الغرب الإسلامي، القاهرة، ط1، 1983م.

19- نصر الله (سعدون عباس): دولة المرابطين في المغرب والأندلس(عهد يوسف بن تاشفين)، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1985م.

20- يوسف (جودت عبد الكريم): الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط في القرنين الثالث والرابع الهجريين (9- 10م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

ثالثا: المراجع المعربة:

1- بروفنسال (ليفي): ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، د.ط، 1955م.

2- جواتياين (س. د): دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تر: (عطية القوصي)، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980م.

3- هوبكنز (ج. ف. ب): النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى، تر:(توفيق الطيبي)، الدار العربية للكتاب، ليبيا وتونس، 1980م.

المركّب الاستعاريّ وتوليد المدلولات في نماذج مُتخيَّرة من خُطب نهج البلاغة (قراءة أسلوبيّة في البنيات الدّلاليّة)

د. تيسير جريكوس *

د.زكوان العبدو **

عبد اللطيف ياسين سليمان***

ملخّص

هذه الدّراسة محاولة لتسليط الضّوء على أهمّ النّظريّات في الاستعارة ، ومحاولة لقراءة الأثر الأسلوبيّ الذي تنتجه المرّكبات الاستعاريّة في خُطب الإمام عليّ ، وفقاً لاتّجاهين اثنين ؛ هما : الاستعارة التّشخيصيّة ، والاستعارة التّجسيميّة في هذه الخُطب ، لما لها من أثر واضح في إضفاء صفة الشّعريّة على النّصّ ، كما أنّها تُمثّل نقاط إضاءة واضحة تُشير إلى دلالات متنوّعة بتنوّع سياقاتها ، كما أنّ الدّيناميّة الأسلوبيّة للصّور المُتحقّقة جرّاء تفاعل هذه المُركّبات اللغويّة مع سياقاتها النّصّيّة تفتح آفاقاً معرفيّة جديدة ، وتمهّد لقراءات ناضجة وفقاً لفهم المُتلقّي ، وثقافته اللّغويّة ، ومن هنا انصبّ اهتمام البحث على قراءة المركّبات الاستعاريّة وفقاً لهذين المنحيين البارزين في هذه الخُطب بوصفهما مفتاحاً قرائيّاً يُسهم في إعادة إنتاج النّصّ من جديد .

الكلمات المفتاحيّة :

خطبة ، صورة ، استعارة ، مجاز ، الإمام عليّ ، نهج البلاغة ، مدلول ، أسلوبيّة .

* أستاذ في قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين – اللاذقية .

Taiser.jraikous@tishreen.edu.sy

** أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين – اللاذقيّة .

Zakwanalabdo55@gmail.com

*** طالب دراسات عليا (دكتوراه) ، قسم اللّغة العربيّة ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، جامعة تشرين – اللاذقيّة .

Abdallatif.suliman@tishreen.edu.sy

The metaphorical complex and the generation of meanings in selected models from the speeches of Nahj al-Balagha (stylistic reading in semantic structures)

Dr. Tayseer Gericus *
Dr. Zakwan Al-Abdo **
Abdul Latif Yassin Suleiman ***

Abstract

This study is an attempt to shed light on the most important different metaphor theories, and an attempt to read the stylistic impact produced by allegorical compounds in Imam Ali's sermons, according to two directions; They are: the figurative metaphor and the figurative metaphor in these speeches, because of their clear impact on imparting a poetic character to the text, and they represent clear points of illumination that indicate various connotations in the diversity of their contexts, and the stylistic dynamism with its illustrative contextualizes It opens new horizons of knowledge and paves the way for mature readings according to the recipient's understanding and linguistic culture, Hence, the research interest focused on reading the figurative metaphors according to these two prominent trends in these sermons, as they are a reading key that contributes to reproducing the text.

key words :

Sermon, picture, metaphor, metaphor, Imam Ali, Nahj al-Balaghah, signification, stylistics.

* Professor at the Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia. Taiser.jraikous@tishreen.edu.sy

** Professor at the Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia. Zakwanalabdo55@gmail.com

*** Graduate student - PhD, Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia. Abdallatif.suliman@tishreen.edu.sy

مقدّمة :

تُعدّ المركّبات الاستعاريّة التّصويريّة مادّة بنائيّة مهمّة في تشكيل النّصّ الإبداعيّ ؛ لأنّها تُعطي إيحاءاتٍ متنوّعةً تُغني النّصّ الذي تُوظَّف فيه ، وتفتح آفاقاً رحبة أمام المُتلقّي للتّأويل ، والتّفسير ، كما أنّ اللّغة الإبداعيّة هي لغة خلق وتأمّل ، لذلك يجب إعادة القراءة أكثر من مرّة بغية اكتشاف عناصرها المكوّنة لها ، وعندما تشكّل المركّبات الاستعاريّة عنصراً مهمّاً في تشكيل جماليّات النّصّ ، فإنّ هذا الأمر يجعل الدّارس بحاجة إلى أدوات معرفيّة ، وآليّاتِ سَبرٍ نَصِّيّ تمكّنه من ملاحقة مدلولاتها ، وتبيين الظّواهر الأسلوبيّة الكامنة فيها ، وعلاقاتها التي تحكمها ، وتحديد كنهها بغية معرفة وظيفتها التي تُؤدّيها في تحقيق جماليّات الخطاب .

أهمِّيّة البحث وأهدافه :

تأتي أهمِّيّة البحث من سعيه الدّؤوب لبيان فاعليّة المركّبات الاستعاريّة في إنتاج المعنى وفقاً للمنحى التّشخيصيّ، والمنحى التّجسيميّ في خُطب الإمام عليّ ، وذلك بالبحث عن الجماليّات الكامنة في تفاعلاتها النَّصِّيّة في هذه الخُطب ، كما يسعى البحث من جهة أخرى إلى الولوج في شعريّة اللّغة الواقعة في فضاء التّحقّقات الاستعاريّة بإمكاناتها الإيحائيّة الكامنة ، ولا تغفل الدّراسة التّركيز على المُعطى المضمونيّ لهذه الصّور الاستعاريّة وفقاً لتعالقاتها السّياقيّة من جهة ثالثة .

منهجيّة البحث :

إنّ منهج التّحليل الاستقرائيّ الوصفيّ للنّصّ هو المنهج المُتّبع في هذا البحث ، ويتجلّى من خلال تحديد الظّاهرة ، ووصفها ، والتّحالّ في آفاقها ، واستنطاق دلالاتها الخفيّة التي تُثري النّصّ وتضيف إليه ، وترتقي به إلى منزلة النّصّ الأثر ، وقد تقود هذه التّحليلات النَّصِّيّة إلى قراءات جديدة ، تُميط النّقاب عن جماليّات لا تستطيع الدّلالات المعياريّة الخارجيّة ولوج أبعادها العميقة .

المركّب الاستعاريّ وتوليد المدلولات :

أ- معنى الاستعارة في اللّغة والاصطلاح ومنزلتها في الدّراسات الأسلوبيّة :

عند الرّجوع إلى المعجم بغية اكتشاف معنى الجذر اللّغويّ (ع و ر) يلحظ الدّارس الدّلالات اللّغويّة الآتية لهذا الجذر : " العارية والعارة ما تداولوه بينهم ، وقد أعره الشّيء ، وأعاره منه ، وعاوره إيّاه ، والمعاورة والتّعاور شبه المداولة والتّداول في الشّيء ، يكون بين اثنين ....

تعوّرو استعار طلب العارية ، واستعاره الشّيء واستعاره منه طلب منه أن يعير إيّاه " [1] ، أمّا دلالات الجذر اللّغويّ (ع ي ر) فقد كانت على الشّكل الآتي : " ومعنى أعارت : رفعت وحوّلت ، ومنه إعارة الثّياب والأدوات ، واستعار فلان سهماً من كنانته : رفعه وحوّله منها إلى يده " [2] . يلحظ من معاني هذين الجذرين من أنّ معنى الاستعارة ، والإعارة يدلّ على التّعاور ، والتّبادل والتّحويل في الأشياء بين شخصين ، أو ذاتين .

وقد نقل هذا المعنى إلى المجال البلاغيّ مع تحديد أكثر في ماهيّة (المنقول) الذي يدلّ في مجال البلاغة على الاسم أو العبارة ، يقول أرسطو : " والاستعارة هي نقل اسم شيء إلى شيء آخر ، فإمّا أن ينقل
من الجنس إلى النّوع ، أو من النّوع إلى الجنس ، أو من نوع إلى نوع ، أو ينقل بطريق المناسبة " [3] .

وعند استعراض تعاريف النّقاد العرب القدامى للاستعارة يجد الباحث أنّها لا تخرج كثيراً عن إطار (النّقل) القائم على المشابهة الذي أشار إليه أرسطو في تعريفه المذكور ، يقول القاضي الجرجانيّ: " وإنّما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المُستعار عن الأصل، ونقلت العبارة ، فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشّبه ، ومناسبة المُستعار للمُستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتّى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبيّن في أحدهما إعراض عن الآخر " [4] .

يلحظ في هذا التّعريف اشتراط وجود حالة من التّناسب ، والتّشابه بين الطّرفين (المُستعَار والمُستعَار له) تنعدم معها المنافرة ، وتتحقّق من خلالها الملاءمة حتّى تتحقّق الاستعارة ، وتبلغ فائدتها المرجوّة ، أمّا أبو هلال العسكري ، فقد عرّف الاستعارة ملاحظاً حالة (النّقل) هذه من دون الإشارة إلى شرط المشابهة الذي دلّ عليه غيره، إنّما ذكر الغاية المتوخّاة من عمليّة النّقل هذه محدّداً إيّاها بشرح

---

[1] ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم . لسان العرب ، منشورات الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2005 م ، مادّة (ع و ر) .

[2] المصدر السّابق ، مادّة (ع ي ر) .

[3] أرسطوطاليس . كتاب أرسطوطاليس في الشّعر ، نقل أبي بشر متّى بن يونس القنّائي من السّريانيّ إلى العربيّ ، حقّقه مع ترجمة حديثة د. شكري محمّد عيّاد ، دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر ، القاهرة ، مصر ، 1386 هـ – 1967 م ، ص116 .

[4] الجرجانيّ ، القاضي عليّ بن عبد العزيز . الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، تحقيق وشرح محمّد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمّد البجّاوي ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط4 ، 1966 م ، ص41 .

المعنى المراد ، وإبانته ، أو تأكيده ، أو المبالغة في إثباته ، أو تحسين مظهره اللفظيّ ، أو لغاية بلاغيّة مؤدّاها التّكثيف ؛ أي التّعبير عن كثير من المعنى بقليل من اللفظ، يقول: " الاستعارة نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللّغة إلى غيره لغرض ، وذلك الغرض إمّا أن يكون لشرح المعنى ، وفضل الإبانة عنه ، أو تأكيده ، والمبالغة فيه ، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه " [1] ، ويلحظ في هذه التّعريفات أيضاً وجود أصل لغويّ للكلمة أو للعبارة نقلت عنه إلى فرع استعماليّ آخر بداعي الاستعارة ، من مثل قول الرّمّاني : " الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللّغة على جهة النّقل للإبانة " [2] .

أمّا الإمام عبد القاهر الجرجانيّ ، فيجعل التّشبيه عماد الاستعارة ونقطة انطلاق تكوينها الأولى ، ويجعل الاستعارة بمنزلة التّشبيه البليغ المُختزل الذي فقد أحد ركنيه الأساسيّين ، يقول : " فالاستعارة أن تريد تشبيه الشّيء بالشّيء ، فتدع أن تفصح بالتّشبيه ، وتظهره ، وتجيء إلى اسم المشبّه به فتعيره المشبّه ، وتُجريه عليه، تريد أن تقول: رأيتُ رجلاً هو كالأسد في شجاعته، وقوّة بطشه سواء، فتدع ذلك، وتقول: رأيت أسداً " [3] ، وفي موضع آخر يجد الباحث أنّ عبد القاهر الجرجانيّ يتكلّم على الاستعارة مُبيّناً جوانب أخرى منها ، يقول : " اعلم أنّ الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللّغويّ معروفاً ، تدلّ الشّواهد على أنّه اختصّ به حين وضع ، ثمّ يستعمله الشّاعر أو غير الشّاعر في غير ذلك الأصل ، وينقله إليه غير لازم ، فيكون هناك كالعارية " [4] .

يتكلّم الإمام الجرجانيّ هنا على قضيّة جوهريّة هي قضيّة الوضع اللّغويّ التي تدلّ على أنّ الدّوال ذات مدلولات محدّدة معروفة ، وأنّ الاستعارة تقوم بعمليّة تعديل لهذا الوضع ؛ إذ ينتقل من خلالها أحد الدّوال ليوضع مكان دالّ آخر ، ويحمل شحنته التّعبيريّة والدّلاليّة ، ممّا يجعله يصبح كالعارية في ذلك الموضع الجديد الذي وضع فيه .

---

[1] العسكريّ ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . كتاب الصّناعتين الكتابة والشّعر ، تحقيق عليّ محمّد البجّاوي ، محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيّة ، القاهرة – مصر ، ط1 ، 1952 م ، ص268 .

[2] الرّمّاني، عليّ بن عيسى . النّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمّانيّ والخطّابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ ، تحقيق د. محمّد خلف الله أحمد ، د. محمّد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1976 م ، ص85 .

[3] الجرجانيّ ، الإمام عبد القاهر . دلائل الإعجاز ، تصحيح وتعليق : السّيّد محمّد رشيد رضا ، مديريّة الكتب والمطبوعات ، سوريا ، 1988–1989 م ، ص53 .

[4] الجرجاني ، الإمام عبد القاهر . أسرار البلاغة في علم البيان ، صحّحه وعلّق حواشيه السّيّد محمّد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 1981 م ، ص22 .

أمّا التّعريفات الحديثة للاستعارة فقد دلّت على هذه المعاني جميعها ، يضاف إلى ذلك ذكر شروط أخرى للاستعارة ، يقول أحد الباحثين المعاصرين في تعريفها : " هي في الاصطلاح البلاغيّ : الكلمة المُستعملة في غير معناها الوضعيّ لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعيّ " [1] .

يلحظ في هذا التّعريف الكلام على شرط المشابهة الذي تمّ من خلاله نقل الكلمة إلى جوّها الاستعاريّ الجديد ، ولكن هذا النّقل لم يكن اعتباطيّاً بل كان مترافقاً بقرينة تمنع إرادة المعنى المعجميّ ، بل تشير إلى وجوب الأخذ بالمعنى المجازيّ المتولّد عن تسييق اللفظة المُستعارَة في غير سياقها الحقيقيّ ، وغياب مثل هذه القرائن عن السّياق الحاليّ أو المقاليّ يجعل اللفظ صالحاً لأيّ من المعنيين [2] .

يلحظ من هذه التّعريفات جميعها أنّ الاستعارة ذات بعدٍ ثنائيّ جدليّ يرتكز على حالةٍ من الحضور والغياب : غياب الدّال الأصليّ الذي يمثّل المُستعار منه المحذوف ، وحضور الدّالّ الفرعيّ الذي يُمثّل المستعَار له ، وقد تمّت عمليّة التّغييب هذه بداع من وجود مشابهة بين هذين الدّالين سوّغت حصول عمليّة استبدال بينهما في السّياق النّصّيّ الإبداعيّ ، وهذه العمليّة الاستبداليّة الإجرائيّة ولّدت حالةً من تهشيم علاقة الدّالّ الأصليّ بمدلوله من خلال إسقاطه اللفظيّ من السّياق النّصّيّ ، ثمّ تحميل الدّالّ الثاني مدلول الدّالّ الأوّل المغيّب بغية تكوين المشهد الإبداعيّ الاستعاريّ ، أمّا في النّظريّات الأسلوبيّة الحديثة ، فإنّ النّقّاد المُحدَثين قد فهموا الصّورة الاستعاريّة وفقاً لنظريّات عدّة مختلفة ، من أهمّها :

1- النّظريّة الاستبداليّة :

تقوم هذه النّظريّة على إمكانيّة استبدال الاسم المُستعَار منه باسم آخر مُستعَار له ، ووضعه مكانه في السّياق التّركيبيّ للنّصّ بسبب من وجود علاقة مشابهة بين هذين الاسمين ، ويأخذ الاسم الثاني الوظيفة النّحويّة ذاتها التي كان من المفترض أن يأخذها الاسم الأوّل ، وعلى هذا الأساس تكون الاستعارة ذات طاقة عدوليّة متولّدة من عمليّة إبدال جرت على المستوى العموديّ للتّركيب ، فمحورها هو المحور النّسقيّ للنّصّ القائم على التّخيّر من جملة إمكانات لفظيّة تتيحها اللّغة ؛ إذ يقصد بالاستبدال " مجموعة الألفاظ التي يمكن للمتكلّم أن يأتي بأحد منها في كلّ نقطة من نقاط سلسلة الكلام ، ومجموعة تلك الألفاظ القائمة في الرّصيد المعجميّ

[1] العاكوب ، د. عيسى . المفصّل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني ، منشورات جامعة حلب ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، 2000م ، ص452 .

[2] يُنظر : المرجع السّابق ، ص456-457 .

للمُتكلّم والتي لها طواعيّة الاستبدال فيما بينها تقوم بينها علاقات من قابليّة الاستعاضة تسمّى العلاقات الاستبداليّة ... ولذلك أطلق عليها محور الاختيار " [1] .

وهذا الاستبدال يوافق في البلاغة القديمة مفهوم النّقل الذي تكرّر في تعريفات النّقّاد القدماء، والنّاتج من جعلهم الاستعارة ترتكز في الدّرجة الأولى على علاقة المشابهة بين طرفيها ، ويجد الباحث امتداداً لهذا الفهم التّقليديّ للاستعارة عند المحدثين، يقول جون كوهين عن صورة المجاز إنّها ":يمكن أن نرمز لها بالرّسم الآتي : حيث نرمز للدّال بـ (د) وللمدلول بـ (م) : د ← م1 ← م2 ، وليس تغيير المعنى بالطّبع عملاً مجانيّاً ؛ إذ يوجد بين المدلول الأوّل والثاني علاقة متغيّرة ، ونحن بهذا التّغيير ننتج أنواعاً مختلفة من المجازات إذا كانت العلاقة هي المشابهة تكون بصدد الاستعارة " [2].

وهذه النّظريّة تعدّ الاستعارة نقطة إضاءة في ذاتها من دون أن يكون لها امتدادات جماليّة أو دلاليّة خارج موضعها الذي جرت فيه ، وهو الكلمة المفردة التي حصل فيها إجراء النّقل ، أو الاستبدال المذكور " وترى النّظريّة الاستبداليّة أنّ الاستعارة لا تتعلّق إلاّ بكلمة معجميّة واحدة بغضّ النّظر عن السّياق الوارد فيه ، ويكون للكلمة معنيان : معنى حقيقيّ ومعنى مجازيّ ، وتحصل الاستعارة باستبدال كلمة مجازيّة بكلمة حقيقيّة " [3] .

فتكون الاستعارة – والحالة هذه – استعارة موضعيّة متركّزة في الكلمة موضع الاستعارة ، وهذه الكلمة تحمل معنيين اثنين : الأوّل حقيقيّ ، تحمله هذه الكلمة قبل وضعها في التّركيب ، والثاني مجازيّ ، تحمله بعد وضعها فيه ، وعلاقة المشابهة التي تربط بين هذين المعنيين كفيلة برفع الغرابة عن اللفظ الذي جرى فيه المجاز الاستعاريّ ، وعن التّركيب الذي حلَّ فيه ، ممّا يجعل المُتلقّي بحاجة إلى المرور بعمليّتين ذهنيّتين من أجل استعادة حالة من الملاءمة للتّركيب بعد حصول المنافرة الدّلاليّة في ذهنه عند تلقّيه الاستعارة للوهلة الأولى ، فعمليّة الاستبدال الأولى التي حلّ بسبب منها لفظ (مجازيّ) محلّ لفظ (حقيقيّ) في التّركيب تستدعي من المُتلقّي عمليّة قرائيّة تعيد التّركيب إلى حالة من التّوازن المعنويّ تنتج عن تأويل الاستعارة بما يخرجها عن حالة المنافرة تلك ، ويعيدها إلى التواءم والانسجام ، فـ " إنّ الاقتصار على المعنى

[1] المسدّيّ، د. عبد السّلام . الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب ، تونس ، ط3 ، د.ت ، ص138–139 .

[2] كوهن ، جان . بنية اللّغة الشّعريّة ، ترجمة محمّد الوليّ ومحمّد العمريّ ، دار توبقال للنّشر ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986 م ، ص109 .

[3] أبو العدوس ، د. يوسف . الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث – الأبعاد المعرفيّة والجماليّة ، منشورات الأهليّة للنّشر والتّوزيع ، عمّان – الأردن ، ط1 ، 1997 م ، ص54 .

الأوّل يجعل الكلمة منافرة ، بينما تستعيد هذه الملاءمة بفضل المعنى الثاني ، الاستعارة تتدخّل لأجل نفي الانزياح المترتّب عن هذه المنافرة ، إنّ الانزياحين متكاملان ، وذلك لأنّهما لا يتحقّقان في نفس المستوى اللّغويّ ، المنافرة تعتبر خرقاً لقانون الكلام ، إنّها تتحقّق في المستوى الاستبداليّ ، هناك نوع من هيمنة الكلام على اللّغة ، فاللّغة تتحوّل لكي تعطي للكلام معنى ، ويتكوّن مجموع العمليّة من زمنين متعاكسين ومتكاملين : 1- حالة الانزياح : المنافرة . 2- نفي الانزياح : الاستعارة " [1] .

فعلى هذا الأساس يكون دارس الاستعارة في مواجهة معرفيّة تتّخذ لها مسلكين : الأوّل هو المعنى المعجميّ للفظ ، وهو سابق في الوجود والانتشار ، والثاني هو معنى مجازيّ يحمل سمة انزياحيّة حركيّة تنزلق بالدّالّ عن مدلوله الأوّل إلى مدلولٍ ثانٍ إبداعيّ ، وهو مُتأخّر عن المعنى الأوّل في وجوده وتكوينه ، إلاّ أنّه مرتبط به برابط دلاليّ خفيّ يجعل من الدّلالة الحقيقيّة الأولى سمة لازمة له ، وإن حمل معنى المجاز بسبب إجراء الاستعارة فيه ؛ إذ " يقتضي مصطلح (النّقل) الذي تبنّته البلاغة القديمة في فهم الاستعارة وجود معنيين اثنين ، الأوّل : منتقل عنه وهو المعنى الحقيقيّ Literal Meaning الذي تواضع عليه النّاس في أصل اللّغة Lexicology ، والثاني منتقل إليه وهو المعنى غير الحقيقيّ Metaphorical Meaning الذي يكون الانتقال إليه على سبيل المجاز الذي تنتمي إليه الاستعارة ، فالمعنى الثاني في الاستعارة هو معنى مجازيّ " [2] .

يلحظ الدّارس ممّا تقدّم ارتكاز النّظريّة الاستبداليّة للاستعارة على إيجاد وجوه شبه بين المُستعَار له ، والمُستعَار منه تسوّغ إجراء إبداليّ بين الألفاظ من باب الاستعارة ، وهذه النّظريّة توافق النّظرة التّقليديّة القديمة للاستعارة لقيامها على بنية الجمع بين المتشابهات ، ممّا يجعل المُتلقّي محكوماً عند قراءته الاستعارة وفقاً لهذه النّظريّة بإطار معرفيّ محدّد يوجّه الاستعارة نحو معنى محدّد مسبقاً مؤطّراً بوجوه الشّبه بين عناصر الاستعارة .

2- النّظريّة السّياقيّة :

تقوم هذه النّظريّة على ربط الاستعارة بسياق التّركيب والنّصّ الذي وردت فيه ، متجاوزة الإطار الضّيّق الذي حصرت فيه النّظريّة الاستبداليّة الاستعارة ، آخذة في الحسبان كونها قائمة على إيجاد حالة من الحركة الدّيناميّة في سياق الرّسالة اللّغويّة بما تخلقه الكلمة المُستعَارة من

[1] كوهن ، جان . بنية اللّغة الشّعريّة ، ص109-110 .

[2] حمد ، د. ثائر حسين . الاستعارة من منظور أسلوبيّ ، منشورات كلّيّة التّربية للبنات ، جامعة بغداد ، العراق ، 2015 م ، ص1 .

انتهاك وتجاوز لسنن المباشرة والإبلاغيّة المحدودة ، وتحقّق من خلال تعالقها في الفضاء النّصّيّ مع غيرها من الدّوال من سحرٍ وجاذبيّة يؤدّيان إلى مباغتة المُتلقّي وإدهاشه ، ممّا يُلغي توالد المعاني الخطّي للدّلالات القاموسيّة الجامدة للكلمة المُستعَارة ، بما يجعل المُتلقّي يبحث في أسرار وضع هذه الكلمة في هذا المُحيط التّعبيريّ الذي حلّت فيه على الرّغم من غرابتها عنه ، فهذه النّظريّة تذهب " إلى أنّ الاستعارة عمليّة خلق جديد في اللّغة ولغة داخل لغة فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات ، وبها تحدث إذابة لعناصر الواقع لإعادة تركيبها من جديد ، وهي في هذا التّركيب الجديد كأنّها منحت تجانساً كانت تفتقده ، وهي بذلك تبثّ حياةً داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرّتيبة ، وبهذا تضيف وجوداً جديداً ؛ أي تزيد الوجود الذي نعرفه ، هذا الوجود الذي تخلقه علاقات الكلمات بواسطة تشكيلات لغويّة عن طريق تمثيل جديد له " [1] .

فالاستعارة وفقاً لهذه النّظريّة تتّسم بسمة التّغريب ؛ أي تغريب الأشياء وما يقابلها من الدّوال عن واقعها الحقيقيّ الجامد ، وإضفاء دلالات علائقيّة جديدة عليها تتضح بالدّلالة المشعّة من فضاء السّياق النّصّيّ الذي وضعت فيه ، وفي هذا تختلف هذه النّظريّة عن سابقتها المرتكزة على إيجاد حالة من المشابهة بين عناصر الاستعارة المتقاربة أصلاً ؛ إذ إنّ هذه النّظريّة السّياقيّة تبحث عن وجوه جمع بين أشياء متباعدة ومتنافرة ، فهي بذلك تعنى بحالة التّطابق الاستعاريّ التي لا تهتمّ بالتّشبيه إلاّ من حيث الشّكل .

أمّا من حيث المضمون ، فإنّ هذه البنية تبحث عن الجمع بين الأشياء المتناقضة أو المتباعدة ، وهي مزيّة تتماز بها هذه النّظريّة عن غيرها لما في تحقيق هذا المُنجز الإبداعيّ من صعوبة بالغة ، وفقاً لمبدأ الفجوة المعنويّة بين طرفي الاستعارة [2] ، ممّا يجعل هذه النّظريّة تركّز دعائمها على حالة من جمع المتغايرات ودمجها في سياق تعبيريّ واحد ، يذيب التّباعد والتّنافر ، فهي تحمل في صورها المجازيّة أسرار تشكّلات الأنساق الوجوديّة المتباعدة ، وهذا لا يتحقّق في واقع مثالي تجريديّ أو نظري مَعيش ، فهذا الواقع له كيان قائم بذاته يختلف عن الصّور المجازيّة للتّشكيلات الاستعاريّة المُتحقّقة ؛ لأنّ بعض هذه الصّور تُؤدّي وظيفة إثرائيّة إدهاشيّة للمُتلقّي ، في حين أنّ بعضها الآخر يمثّل تجلّيات اللّغة الشّعريّة في مستوى تجريدي وبلاغيّ أسمى من النّمط الأوّل ، وهذا كلّه نابع من العلاقات السّياقيّة التي تبنيها الصّور الاستعاريّة في الفضاء النّصّيّ الذي تنتجه الذات المُبدعة؛ لتعبّر بهذه الصّور عن علاقة جدليّة بين الموجودات والأشياء المتباعدة ، وتكوّن من خلاله حالة من التّكثيف الإبداعيّ والجماليّ ذي الطّاقة التّخييليّة القادرة

[1] أبو العدوس ، د. يوسف . الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث – الأبعاد المعرفيّة والجماليّة ، ص99 .

[2] يُنظر : حمد ، د. ثائر حسين . الاستعارة من منظور أسلوبيّ ، ص16-17 .

على الجمع بين هذه السّياقات " وهنا يكون مفيداً أن تعيننا نظريّة السّياق التي تنظر للاستعارة أكثر من كونها مجرّد مقارنة تبيّن عن نقطة ما ، أو تشير إلى قاعدة ما ، بإعادة تكوينها تكويناً جذّاباً ، إنّما تصبح الاستعارة هي العنصر الذي لا بدّ منه لربط سياقين ، ربّما يكونان بعيدين جدّاً ، أو على الأقلّ يكونان في النّهج العاديّ للحياة غير مرتبطين " [1] .

وهذا ما يُؤكّد أهمّيّة السّياق في تفسير الاستعارة ، وبيان جماليّاتها ؛ لأنّ فيه تتفجّر طاقاتها الكامنة ، وتظهر أسرار الإبداع الخفيّة التي ولّدت الصّور الاستعاريّة بما يكسبها صفة النّموّ والتّأثير الفاعل ، وعند إخراجها من سياقها تفقد كثيراً من الحيويّة والنّشاط الخلاّق الذي أكسبها إيّاه تحرّر الدّوال من القيد المعجميّ ، وانعتاقها الدّلاليّ ، وتحرّكها في مستوى البنية التّصوريّة للباثّ التي تجلّت في السّياق الذي هو " مجموعة من المواقف والإمكانات المتفاعلة وفيه تقاطعات مستمرّة ، ولهذا وجب أن يرجع في تبيّن فاعليّة الاستعارة وغيرها من مظاهر النّشاط الخياليّ الشّعري إلى ما يؤنس على وجودها ، أو يُمهّد لها من السّياق ، وبعبارة أخرى ، إنّ السّياق يكشف عن فاعليّة الاستعارة ، ويردّ إليها قيمتها الخفيّة ، ويعطي لبعض الإمكانيّات الكامنة فيها فرصة الوضوح والنّموّ ، ومعنى الفاعليّة لا يُدرك إلاّ إذا أدخلت الاستعارة في مساقها أو بيئتها الطّبيعيّة " [2] .

وعلى ضوء هذا الفهم تغدو الاستعارة بؤرة إبداعيّة مولّدة للدّلالات التي لا تُفهم ، ولا يتحقّق لها وجودها الكامل إلاّ من خلال السّياق التّعبيريّ الذي أوجدته ، ومارست فيه حيويّتها الدّلاليّة الحركيّة .

3- النّظريّة التّفاعليّة :

تقوم هذه النّظريّة على توسيع الإطار الدّلاليّ الذي تُنتجه الاستعارة من خلال التّفاعل الذي يحدث بين طرفيها ، وجعله ذا طيفٍ معنويّ وتأثيريّ كبير يشمل الإطار المحيط به كلّه ، ومن أهمّ أركان هذه النّظريّة تجاوز الاقتصار على كلمة واحدة ، وأنّ الكلمة أو الجملة موضع الاستعارة ليس لها معنى حقيقيّ محدّد بكيفيّة نهائيّة ، وأنّ الاستعارة تحصل من خلال التّفاعل أو التّوتر الذي يحدث بين بؤرة المجاز ، والإطار المحيط بها ، وهي ذات قيمة عاطفيّة ، ومعرفيّة ،

[1] عيد ، د. رجاء . فلسفة البلاغة بين التّقنيّة والتّطوّر ، دار المعارف ، الإسكندريّة ، مصر ، ط2 ، 1977 م ، ص396-397 .

[2] سلّوم ، د. تامر . نظريّة اللّغة والجمال في النّقد العربيّ ، دار الحوار ، اللاذقيّة ، 1983 م ، ص318 .

ووصفيّة ، ولا يمكن حصرها في الهدف الجماليّ فحسب [1] ، فالتّفاعل الذي تتبنّاه الاستعارة ، وتقوم عليه وفقاً لهذه النّظريّة لا يقتصر على سياق واحد يحصر التّأثير الاستعاريّ في مجال محدّد من النّصّ الإبداعيّ المُتحقِّق ، بل يمتدّ هذا التّفاعل ليشمل النّصّ بأكمله " إذ إنّ الاستعارة في ضوء بنية التّفاعل لا تتمركز في لفظة واحدة ، وإنّما تنتشر على مجمل السّياق التّركيبيّ الذي ترد فيه هذه اللفظة " [2] .

وهذا يعني أنّ هذه النّظريّة ترتقي بفهم اللّغة إلى إضفاء سمة الخلق الإبداعيّ عليها ، وفقاً لفهمها عمليّة التّصوير الاستعاريّ ؛ إذ إنّ الاستعارة وفقاً لها تغدو آليّة لغويّة ، تتشكّل من خلالها أنساق متفاعلة خلاّقة للنّشاط اللّغويّ الإبداعيّ، فـ " إنّ النّظريّة التّفاعليّة للاستعارة ترتكز على أنّ الاستعارة عمليّة خلق جديد في اللّغة، ولغة داخل لغة فيما تقيمه من علاقات جديدة بين الكلمات ، وبها تحدث إذابة لعناصر الواقع من أجل تركيبها من جديد ، وهي في هذا التّركيب الجديد كأنّها منحت تجانساً كانت تفتقده ، وهي بذلك تبثّ حياة داخل الحياة التي تعرف أنماطها الرّتيبة ، وبهذا تضيف وجوداً جديداً ؛ أي تزيد الوجود الذي يعرفه هذا الوجود الذي تخلقه علاقات الكلمات بواسطة تشكيلات لغويّة عن طريق تمثيل جديد لها " [3] ، ممّا يجعل التّصوير الاستعاريّ ذا إشعاع أفقيّ وعموديّ يتركّز إشعاعه في نقطة التّفاعل المركزيّة التي جعلت من طرفيها المُتداخلَين مركز الثّقل الدّلاليّ له ، ويمتدّ بإشعاعه إلى باقي النّصّ ، ممّا يحدو بالمُتلقّي عند تفسيره حالة التّفاعل ، والتّداخل هذه إلى تجاوز العلاقة الميكانيكيّة الآليّة التي تسم الأشياء بالغيرية في واقعها الحقيقيّ ، ويرتقي بفهمه إلى حالة معرفيّة وذوقيّة تمكّنه من الجمع بينها في سبيل الوصول إلى حالة التّداخل الذي " لا ينجلي إلاّ بالتّفرقة بين التّركيب العضويّ ، والتّركيب المنطقيّ ، فالتّركيب المنطقيّ موصوف بالآليّة ، وأجزاؤه مستقلّة ، والعلاقات بين هذه الأجزاء إضافة ولا يتأثر الجزء والعلاقة بين هذه الأجزاء بالنّظم الكُلّيّ الذي يدخلان فيه ، أمّا التّركيب العضويّ ، فيعني أنّ علاقة الجزء تتضمّن في ذاتها علاقة الجزء بكلّ التّعبير ، فعناصر الاستعارة لا معنى لها إلاّ من حيث ارتباطها بذلك المجموع الذي تخلقه بوساطة ما بينها من

[1] يُنظر: مفتاح ، د. محمّد . تحليل الخطاب الشّعريّ – استراتيجيّة التّناص ، المركز الثّقافيّ العربيّ ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986 م ، ص84 .

[2] حمد ، د. ثائر حسين . الاستعارة من منظور أسلوبيّ ، ص19 .

[3] شبابيك ، د. عيد محمّد . الاستعارة في الدّرس المعاصر – وجهات نظر عربيّة وغربيّة، دار حرّاء للنّشر، القاهرة ، ط1 ، 2006 م ، ص34 .

تفاعل " [1] ، هذا التّفاعل تركّز أوّلاً في طرفي الاستعارة المُنصهرَين في بوتقة دلاليّة ومعنويّة واحدة ، ثمّ امتدّ بتأثيره إلى ما يجاوره من وحدات لغويّة وتعبيريّة ربّما اتّسمت بسمة الحقيقة لا المجاز ، ممّا يولّد حالة من التّوتر والتّغاير بين المركّب الاستعاريّ بوصفه جزءاً من كلّ هو النّصّ الإبداعيّ ، وبين هذا الكلّ الذي يحوي هذا الجزء " فبنية الاستعارة إذن – طبقاً لهذا المفهوم البلاغيّ الجديد – تتجاوز الوحدة اللّغويّة المفردة، ولا تتمثّل في عمليّة نقل أو استبدال ، ولكنّها تحدث من التّفاعل والتّوتر بين ما يطلق عليه (بؤرة الاستعارة) والإطار المحيط بها ، وهذا التّفاعل يعتمد على نوع من التّداخل بين طرفيها : المُستعَار منه والمُستعَار له " [2] .

وعلى ذلك تكون الاستعارة وسيلة خلق جديد للّغة ؛ إذ تتشكّل في معماريّته الفنّيّة أنماط متعدّدة من العلاقات تقوم بينها وشائج تفاعل وتداخل وتمازج ، بما يُحيل الدّوال ومدلولاتها إلى عالم علائقيّ خصب خاصّ يتطلّب استشفافه وعياً وإدراكاً كبيرين من المُتلقّي ؛ إذ " تعدُّ النّظريّة التّفاعليّة من أهمّ نظريّات الاستعارة ، وأكثرها انتشاراً، وأقربها إلى التّطبيق العمليّ، فالاستعارة بالنّسبة لمؤيّدي هذه النّظريّة تتجاوز الاقتصار على كلمة واحدة ، وهي تحصل من التّفاعل أو التّوتر بين بؤرة المجاز ، والإطار المحيط بها ، وتبيّن هذه النّظريّة أنّ للاستعارة هدفاً جماليّاً ، وتشخيصيّاً وتجسيديّاً ، وتخييليّاً ، وعاطفيّاً " [3] .

وبناءً على ما تقدّم ، يمكن أن يستنتج الدّارس أنّ النّظريّة التّفاعليّة ذات قدرة كبيرة على فهم الأسرار الجماليّة ، والتّشخيصيّة ، والتّجسيميّة ، وغيرها من المظاهر الإبداعيّة التي تتميّز بها الاستعارة ، وتمكّن الباحث من القبض على الظّلال الدّلاليّة التي تقوم عليها تلك التّعالقات والارتباطات ، بما يوسّع من مداليل التّقسيمات البلاغيّة القديمة للاستعارة من مثل الاستعارة التّصريحيّة والتّبعيّة والتّخييليّة والمكنيّة [4] .... ؛ إذ يمكن صياغة أي تعبير استعاريّ بالانطلاق من استعارة مفهوميّة مؤلّفة من موضوع أوّل ، وموضوع ثان ، كما أنّ مفهوم التّفاعل يجعل

[1] أبو العدوس ، د. يوسف . الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث – الأبعاد المعرفيّة والجماليّة ، ص140 .

[2] فضل ، د. صلاح . بلاغة الخطاب وعلم النّصّ ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد164 ، أغسطس 1992 م ، ص138 .

[3] أبو العدوس ، د. يوسف . الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث – الأبعاد المعرفيّة والجماليّة ، ص129 .

[4] للاستزادة في معرفة أنواع الاستعارة وفقاً للبلاغة القديمة، ينظر: مطلوب ، د. أحمد . معجم المصطلحات البلاغيّة وتطوّرها، من ص87 إلى ص104. والعاكوب ، د. عيسى . المفصّل في علوم البلاغة العربيّة المعاني، البيان، البديع، من ص457 إلى ص493 .

الدّارس يتجاوز الاستعارة الجمليّة إلى دراسة الاستعارة في نصّها الكلّيّ بناء على مفاهيم من مثل المماثلة الجزئيّة وشبه التّضاد [1] .

واعتماداً على ما تقدّم يمكن للباحث أن يدرس توليد المدلولات في المركّب الاستعاريّ في خُطب الإمام عليّ دراسة حداثيّة تتجاوز تقسيمات البلاغة القديمة ، وذلك وفقاً لمحورين اثنين :

المحور الأوّل : الاستعارة التّشخيصيّة :

يرتكز هذا النّوع من الاستعارات على حالة من التّشخيص الذي يدلّ على خلع الصّفات الإنسانيّة على أشياء غير حيّة من مثل الأشياء الجامدة ، والكائنات الماديّة التي لا تتّصف بالحياة ، وهو من الوسائل الفنّيّة التي يلجأ إليها المبدع لإيصال أفكاره بصورة فنّيّة من خلال بثّ الحياة فيما لا حياة له ، بما يجعله يحسّ ، ويدرك ، ويشعر ، ويسمع ، ويتكلّم [2].

ويلحظ الدّارس كثرة توارد الاستعارة التّشخيصيّة في نهج البلاغة ، من مثل قول الإمام عليّ :

" **وَلَو وَهَبَ مَا تنفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادنُ الجِبالِ ، وَضَحِكَتْ عَنْهُ أصْدَافُ البِحَارِ منْ فِلِزِّ اللجينِ والعِقيانِ ونُثَارةِ الدُّرِّ وحَصِيدِ المُرجانِ ، ما أَثَّرَ ذلك في جودِهِ ولا أنفدَ سعةَ ما عندَهُ ولكانَ عنْدَهُ منْ ذخائرِ الأنعامِ ما لا تنفدُهُ مطالبُ الأنامِ** " [3] .

في هذا الجزء من الخطبة يتكلّم الإمام عليّ على الجود الإلهيّ ، ويُقرّر في أذهان السّامعين أنّ كرم الله سبحانه لا تنقصه الهبات مهما عظمت ، وكبرت ، فيلجأ إلى مظاهر الطّبيعة وموجوداتها الحسّيّة ، ويجعلها ناطقة بلسان حالها ، ومقرّرة هذه الحقيقة بأسلوب شرطيّ وتشخيص استعاريّ لها ، يتجلّى في قوله " تنفّست عنه معادن الجبال " ، وقوله " ضحكت عنه

---

[1] يُنظر : مفتاح ، د. محمّد . مجهول البيان ، دار توبقال للنّشر ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1990 م ، ص61 .

[2] يُنظر : وهبة ، مجدي . معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، 1974 م ، ص398 . والصّباح ، د. عصام لطفي . الصّورة الفنّيّة في شعر الوأواء الدّمشقيّ، دار زهدي للنّشر والتّوزيع، عمّان ، الأردن ، ط1 ، 2016 م ، ص171 . وزروقي ، القادر علي . صور التّجسيد والتّشخيص في شعر محمّد بلقاسم خمار، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، الجزائر ، مجلّد 9 ، عدد4 ، السّنة 2020 م ، ص346-347 .

[3] المعتزلي ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربيّ ، بغداد ، ط1 ، 2007 م ، م3 ، ج429/6 .

أصداف البحار " ؛ إذ شبّه عمليّة ما تقوم به معادن الجبال من إخراج الذهب ، والفضّة بتنفّس الإنسان الحيّ المريد محمّلاً إيّاها صفة إنسانيّة ، وهي التّنفّس الذي به استمرار الحياة ، وشبّه عمليّة انفتاح الأصداف ، وإخراج اللؤلؤ والدّرّ ، والمرجان منها بإنسان يضحك " واستعار لفظ الضّحك للأصداف ، ووجه الشّبه انفتاح الصّدفتين وإسفارهما عن اللؤلؤ الشّبيه في بدوّه بأسنان الإنسان حال ضحكه ، وعن لحمة تشبه اللسان في رقّة طرفه، ولطافته، ومن صادف الصّدفة عند فتحها وجدها كالإنسان يضحك " [1] .

ويلحظ هنا أنّ عمليّة الوهب هنا امتدّت إلى أغلى ما يسعى الإنسان لامتلاكه من الأمور الماديّة، وهي الذّهب والفضّة والعقيان ، وفي هذا إمعان من الإمام عليّ في التّدليل على كرم الباري وقدرته على الوهب ، وعلى غنى خزائن الله الذي يمتدّ ليشمل الأشياء الماديّة والنِّعم المعنويّة في آنٍ واحد، كما يلحظ أنّ الجود الإلهيّ الذي تكلّم عليه الإمام عليّ في هذه الخطبة، متعلّق بالنّعم الماديّة التي تتّخذ بواطن البرّ والبحر موضعاً لها ، وهذا من باب التّدليل على أنّ نعمه غير محصورة بمكان معيّن أو محدّدة في موضع دون غيره من المواضع ، بل هي ممتدّة في المكان كما هي ممتدّة في الزّمان ، وشاملة النّعم الماديّة والمعنويّة في آنٍ واحد ، ممّا حدا بالإمام عليّ أن يخلع الصّفات البشريّة على هذه الموجودات ، ويجعلها تتكلّم بلسان حالها عن الجود الإلهيّ الذي لا ينقص ولا يغيض مهما فاضت العطايا وزادت المنح .

ويلحظ هنا في هذا الجزء من الخطبة أنّ هاتين الاستعارتين التّشخيصيّتين أصبحتا مركز الثّقل الدّلاليّ، والإشعاع المعنويّ الذي تتفاعل تأثيراته ، وتشعّ دلالاته على كامل هذا الجزء ، فقد أنتجت هاتان الصّورتان الاستعاريّتان عالماً تشخيصيّاً نابعاً من تعالق دوالهما بالإطار المحيط بهما دلاليّاً ، بما يوجّه الدّلالة وفقاً لمسارين اثنين : أوّلهما العطاء الماديّ غير المحدود الذي ينتج عن هذه الموجودات المشخّصة ، وثانيهما ينفتح على مجال إيحائيّ واسع دالّ على الجود الإلهيّ غير المحدود ، ممّا يوسّع تصوّر المُتلقّي لمثل هذه الحقيقة الوجوديّة ، بما لا يدع مجالاً للشّكّ بأنّ الإمام عليّاً فتّق من خلال هذه الحركة التّشخيصيّة للموجودات الحسّيّة فير العاقلة دلالات نصّيّة تجعل صورة " تنفّس معادن الجبال " ، و " ضحك الأصداف " تتحرّك مع الدّلالات الرّؤيويّة الخلاّقة التي تخرج دالّ "الأصداف" ، ودالّ " الجبال " من سكونيتهما المعجميّة ، وهنا يلمح الدّارس المفارقة الإستاطيقيّة التي كوّنها الإمام عليّ في هذا النّصّ من خلال التّشخيص الاستعاريّ ، فصارت الأصداف والجبال كائنات حيّة عاقلة مريدة قادرة على إظهار

[1] البحرانيّ ، كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم. شرح نهج البلاغة، دار الحبيب للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة ، قم ، إيران ، ط2 ، 1430 هـ ، م(1-5) ، ج364/2 .

الجود الإلهيّ ، ومشعّة بدلالات الكرم غير المحدود ، بما يحوّلها إلى عالم رؤيويّ فكريّ يتساوق مع رؤية الإمام عليّ الخاصّة المتعلّقة بهذا الموضوع ، ومع مقصديّته العرفانيّة .

ويقول الإمام عليّ في خطبة أخرى :

" **ولا تغرنّكم الحياةُ الدُّنيا كما غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ من الأممِ الماضيةِ والقرونِ الخاليةِ الذينَ احتلبوا درَّتَها ، وأصابوا غرّتَها ، وأفنوا عِدَّتَها ، وأخلقوا جِدَّتَها ، وأصبحت مساكِنُهُمْ أجداثاً ، وأمواتُهُم ميراثاً ، لا يعرفونَ مَنْ أتاهم ، ولا يحفلونَ مَنْ بكاهم ، ولا يجيبونَ من دعاهم ، فاحذروا الدّنيا فإنّها غدّارةٌ غرّارةٌ خدوعٌ معطيةٌ منوعٌ ملبسةٌ نزوعٌ ، لا يدومُ رخاؤُهَا ، ولا ينقضي عناؤُهَا ، ولا يركد بلاؤُهَا** " [1] .

يتكلّم الإمام عليّ في هذه الخطبة على الحياة الدّنيا ذات المظاهر المحسوسة ، فيصفها بمجموعة من الصّفات التّشخيصيّة ، وتتبدّى أسلوبيّة التّصوير الاستعاريّ هنا بالاعتماد على جملة من التّراكيب ، والأسماء التي جاءت هنا وصفيّة لتنسجم مع صورة الدّنيا ، وحالتها المراد تصويرها في هذا النّصّ ، ويظهر استخدام التّشخيص المُتكرّر فيه على نحو متباين بين الاسميّة والفعليّة صورة حركيّةً تموج بالدّلالة المتوالدة من هذه التّراكيب؛ إذ يقوم المحور الاستعاري في هذا النّصّ على ركنٍ واحدٍ هو التّشخيص، والأنسنة على الشّكل الآتي:

الصّورة	الدّال	المدلول
الأولى	غرّت من كان قبلكم	الأوّل : التّغرير والخداع
		الثاني : انغماسهم في الملذّات الدّنيويّة
الثانية	احتلبوا درّتها	الأوّل : كثرة خيراتِ الدّنيا
		الثاني : الحصول عليها والفوز بها
الثالثة	أصابوا غِرّتها	الأوّل : الغفلة وعدم الانتباه من الدّنيا لأهلها
		الثاني : عدم رميها لأهلها بالمصائب والنّوائب
الرّابعة	أفنوا عِدّتها	الأوّل : تعدّد أشكال المتاع في الدّنيا من مأكل ومشرب وملبس وغيرها
		الثاني : سرعة زواله وانقضاء لذّته
الخامسة	أخلقوا جِدّتها	الأوّل : محاسن الدّنيا تبدو للوهلة الأولى أنّها

[1] المعتزليّ ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، م7 ، ج6/13 .

		جديدة
		الثّاني : كثرة الاستمتاع بهذه المحاسن تجعلها تصبح خلقة قديمة
السّادسة	إنّها غدّارة غرّارة خدوع	الأوّل : الغدر والخداع
		الثّاني : رميها لمحبّها بنوائبها بعد ظنّه أنّها أعطته الأمان لكثرة ما بحوزته من النّعم والمتاع
السّابعة	الدّنيا معطية منوع	الأوّل : العطاء والمنع
		الثاني : إقبال الدّنيا على محبِّها بالمسرّات ، والملذّات ، وإدبارها عنه بحرمانه منها فجأة
الثّامنة	الدّنيا ملبسة نزوع	الأوّل : اللبس والنّزع
		الثاني : تجريد الدّنيا محبّها من كلّ ما وهبته إيّاه من لذائذ دفعة واحدة

يتبيّن من هذه الصّور الاستعاريّة التّشخيصيّة قدرة الإمام عليّ على تفتيق دلالات نصّيّة ترتكز على صورة حركيّة ديناميّة يتبدّى عند تأليفها اعتماده على أكثر من حقل دلاليّ، لكنّها تشترك جميعها في أنسنة الدّنيا، وإعطائها البعد الإنسانيّ الفعّال ، وفي تشكيل سمة أسلوبيّة انزياحيّة يمتدّ تأثيرها إلى الفضاء النَّصِّيّ الذي تتموضع فيه ، ففي الاستعارة الأولى يلحظ الدّارس تشبيه الدّنيا بالحسناء الفاتنة التي تميل إليها الرّجال ، وقد نجحت في مهمّة الاستمالة ، وإيقاع محبّيها في شباكها ، فقد استهوتهم بمفاتنها ، وغرّتهم بمغرياتها ، وأغرت أمماً كثيرة من قبل ، وجرفتهم بتيّارها الصّاخب ، وفي آخر المطاف اكتشف كلّ من غُرِّر بها مدى صغرها ، وتفاهتها ، وسرعة انقضاء لذاذاتها ، كأنّها لم تكن .

أمّا في الصّورة الثانية ، فهو يشبّه الدّنيا بالبقرة كثيرة اللبن ، والدّنيا كثيرة الخيرات والعطايا ، وقد سعى محبّوها كما بيّنت هذه الصّورة إلى استنفاد كلّ ما فيها من الخيرات كما يستنفد الحالب الضّرع من اللبن ؛ إذ ينفتح هذا التّركيب (احتلبوا دِرّتها) على مدلولات (النّهم ، وطلب الخير ، وعدم الاقتناع بالقليل ، والوقوع في حبّ الدّنيا الشّديد)، وعلى قدر هذا الاحتلاب يكون الأسى كبيراً ، والنّوم شديداً عند افتقاد كلّ ما أعطته الدّنيا ، وسلبها إيّاه عمّن وهبته له .

وفي الإطار ذاته تأتي الصّورة الاستعاريّة الثالثة مكمّلة لما وشت به سابقاتها وهي: (أصابوا غِرّتها) ؛ إذ تأتي لتشبّه الدّنيا بكائن حيٍّ غافل عمّا يجري حوله ، ممّا يجعل الفرصة مُهيَّئة لمن يريد اقتناص ما يُريده منها ، والدّنيا في غفلتها إنّما تغرّ من وقع في شباكها بالاستزادة

من لذائذها ، ولكنّه عندما تنتهي هذه الغفلة ، فإنّها تقلب له ظهر المِجَنّ ، وتبدّل الفرح أسى ، والنّعيم جحيماً.

ثمّ يظهر التّركيب الاستعاريّ (أفنوا عدّتها) انفتاحاً على جملة مدلولات يتعلّق قسم منها بالدّنيا ، وهي مدلولات " تعدّد مظاهر النّعيم فيها ، سرعة انقضاء لذّتها ، نجاحها في إيقاع محبّها بشراكها " . أمّا القسم الآخر من هذه المدلولات، فيتعلّق بمن تشرّب قلبه حبّ الدّنيا، وعرضها الفاني ، وهي مدلولات " التّعلّق الشّديد بالدّنيا ، التّكالب على الحصول على أكبر قدر ممكن من لذّتها " ؛ إذ تقوم هذه الصّورة على إيضاح علاقة محبّ الدّنيا بها ، وانهماكه بجمع ما أمكنه من حطامها ، ثمّ زوال هذا الحطام كأنّه لم يكن ؛ لأنّه أصبح محكوماً بالفناء عند زواله من يدي محبّها الوالهِ بها .

وتأتي الصّورة الاستعاريّة التي تليها (أخلقوا جِدّتها) لتتقارب دلاليّاً مع سابقتها ؛ إذ تشي هذه الصّور بتجدّد مظاهر النّعيم التي تمنحها الدّنيا لطالبها ، ولكنّ الأخير يوجّه كامل طاقته للاستمتاع بما تتيحه الدّنيا له ، فيصل إلى مرحلة لا يبقى معها شيء من لذّتها إلاّ جعله خلقاً قديماً لاستفادته القصوى منه ، وهنا يشبّه الدّنيا بالمتاع ، والنّعيم المُتجَدِّدَين ، ولكنّهما لا بدّ من أن تنقضي مدّتهما ، وتزول حلاوتهما في وقت ما .

وتتتالى الصّور الاستعاريّة الباقية لتكمل المشهد الذي كوّنته سابقاتها ، وتعزّزه ، وترسّخه في الأذهان ، محمّلاً إيّاها مرسلها صفات إنسانيّة متناقضة، فهي غدّارة، غرّارة، شعارها الغدر والخيانة، وإيقاع محبّها بشباكها، والتّغرير به ، كما أنّها خدوع ؛ أي صاحبة مكرٍ وخداع ، مُشبِّهاً إيّاها بصاحب مشورة بأمر ظاهره خير ، وباطنه شرّ ؛ لأنّ ظهور زينة الحياة الدّنيا للنّاس يشبه الرّأي المحمود في ظاهره الدّال على وجوب اتّباعها ، وكذلك كانت تلك الزّينة واتّباعها لما تحمل من الفتنة بها من صدٍّ عن سبيل الله عين المفسدة ، وهذا يشبه الفساد النّاجم عن باطن الرّأي المذكور[1] ، فالدّنيا أصبحت وفقاً لهذه البُنى الاستعاريّة التّشخيصيّة لعوباً حسناء تخدع ، وتغرّ ، وتغدر ، وهي لا تُعطي إلاّ لتمنع ، ولا تمنح إلاّ لتنزع .

وقد جاءت البنى الصّرفيّة التي استخدمها الإمام عليّ للتّعبير عن قناعته هذه متواءمة مع هذه الحقائق؛ إذ لجأ إلى استخدام أسماء مبالغة اسم الفاعل (غدّارة) ، و (غرّارة) للتّدليل على قدرتها الكبيرة على إيقاع محبّها بشباكها، وعلى تأصّل صفة الغدر فيها ، كما استخدم اسم الفاعل (معطية) و (ملبسة) لإيضاح قدرتها على المنح والعطاء ، ثمّ استخدم مقابل اسمي

[1] يُنظر : البحرانيّ. شرح نهج البلاغة، م (1-5) ، ج676/4 .

الفاعل أسماء مبالغة اسم فاعل، وهي (خَدُوع) و (مَنُوع) و (نَزُوع) وهي على وزن (فَعُول) ، وهذا الوزن في المبالغة منقول من أسماء الذوات ، فإنّ اسم الشّيء الذي يفعل به يكون غالباً على وزن (فَعُول) من مثل الوَضوء ، والوَقود ، والسَّحور ، ومن هنا استُعير البناء إلى المبالغة ، فعندما يقال : هو صَبُور ، كأنّ المعنى أنّه كان مادّة تستنفد في الصّبر ، وكذا حين تقول : هو شكور ، كأنّه مادّة معدّة للشّكر تستهلك فيه [1] .

واعتماداً على ما سبق يمكن أن يستنتج الدّارس أنّ الإمام عليّاً عندما وصف الدّنيا بالخَدُوع ، والمَنُوع ، والنَّزُوع ، أراد أن يقول إنّها مادّة ، أو ذات ، تستنفد طاقتها وقدرتها كلّها في الخداع ، والمنع ، والنّزع ، فهي وإنْ غرّت طالبها بالإعطاء والمنح ، إلاّ أنّ هذه الصّفات السّلبيّة متجذّرة متأصّلة فيها ، ولا يمكنها أن تخرج عن إطارها ، وإن أظهرت عكسها في مدّة ما ، أو خلال وقت قصير .

المحور الثاني : الاستعارة التّجسيميّة :

يقوم هذا النّوع من الاستعارات على التّجسيم المرتكز على نسبة الصّفات الحسيِّة ، والماديّـــة ، أو الإنسانيّة على أشياء مجرّدة ، وأمور معنويّة لا وجود لها خارج الذّهن ، وهذا يتمّ بالتّعبير عن المعنويّات بإعطائها صفة حسِّيّة ، ووضعها في قالبٍ مادّيٍّ ، وبه يتمّ إبعاد المعاني الذّهنيّة عن مدلولاتها العقليّة ، وإذابة الفوارق ، وتحطيم الحواجز بين الأشياء الحسِّيّة ، والمعنويّة ، ممّا يفتح الأبواب أمام الدّارس كي يدمج المحسوس بالمعقول ، ويصهرهما في بوتقة واحدة [2] .

والغاية من اللجوء إلى مثل هذه التّقنيّة في الأدب هي تقريب الشّيء الذّهنيّ المجرّد من فهم المُتلقِّي؛ لأنّ الإنسان يألف الأشياء الحسِّيّة القريبة منه ، ويحتاج إلى عمليّة مقايسة عقليّة ، وربط منطقيّ ، ومنهجيّ لفهم المجرّدات ، والإحاطة بمعرفتها ، وكنهها ، فالعقل البشريّ لا يعمل في الفراغ ، ولا بدّ له من نقاط ارتكاز حسِّيّة ينتقل من خلالها إلى معرفة المعقولات والمجرّدات ، فالأمور الحسِّيّة تصبح – والحالة هذه – معابر ، وطرقاً ، وسبلاً يتّكأ عليها العقل البشري بغية

---

[1] يُنظر : السّامرّائي ، د. فاضل . معاني الأبنية في العربيّة ، دار عمّار للنّشر والتّوزيع ، عمّان – الأردن ، ط2 ، 2007 م ، ص100-101 .

[2] يُنظر : وهبة ، مجدي . معجم مصطلحات الأدب ، ص398 . وصادق ، رمضان . شعر عمر بن الفارض – دراسة أسلوبيّة ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب ، 1998 م ، ص194 . والصّبّاح، د. عصام لطفي . الصّورة الفنّيّة في شعر الوأواء الدّمشقيّ ، ص171 . وزروقي ، القادر علي . صور التّجسيد والتّشخيص في شعر محمّد بلقاسم خمّار ، ص339-340 .

الوصول إلى هذا النّمط من المعرفة، فالذي تقع عليه الحاسّة أوضح في الجملة ممّا لا تقع عليه، والمشاهد أوضح من الغائب ؛ لذلك كانت الاستعارة المتعلّقة بالمحسوسات أقرب إلى الإفهام، والتّأثير؛ لذلك كان من الطّبيعي أن تفضّل الصّورة التي تنقلنا من الأفكار المجرّدة إلى الأشياء الحسّيّة ، أو توضّح المعنويات من خلال مقارنتها بالحسّيّات ، والنّقلة من المعنويّ إلى الحسّيّ تعني النّقلة من المجهول إلى المعلوم ؛ لأنّ المحسوس أوضح من المعقول لألفة النّفس به ، وتعوّدها عليه منذ بداية وعيها بالعالم المحيط بها [1] .

ومن يقرأ خُطب الإمام عليّ يلحظ وعياً فكريّاً مُتقدِّماً انماز به الإمام عليّ ، وتجلّى بدقّته التّعبيريّة في استخدام الصّور التّجسيميّة في الاستعارة بغية إيصال فكرته إلى مُتلقّيه ، وإقناعهم بها ، والتّأثير فيهم بوساطتها ، وجذبهم إلى ساحة العمل بما تقتضيه معرفة الأسرار الجماليّة ، والبلاغيّة التي تشعّ منها هذه الصّور الاستعاريّة التّجسيميّة بعد إدراك المُتلقّي كيفيّة استخدامه التّجسيم، بما يخدم خاصّيّة التّكثيف، والإيجاز ؛ أي التّعبير عن كثير من المعنى بقليل من اللفظ ، وخاصّيّة التّأثير النّابعة من إذابة الفروق بين الموجودات الحسّيّة ، والعقليّة ، وإيجاد حالة من التّواءم بينها تفضي بدورها إلى فهم كثير من القضايا ، والأفكار المجرّدة ، ومعرفة عديد من الذّوات العقليّة، وإدراك أهمّيّة القيم، والمبادئ التّصوّريّة ، وحثّ المُتلقّي على التّمسّك بأهدابها ، والعمل بما تقتضيه هذه القيم ، وتُؤدّي إليه معرفة هذه المُجرّدات المُتجليّة في تعابيره الفنّيّة ، والظّاهرة فيها بأثواب حسّيّة تلفت المُتلقّي ، وتجعله يبحث في أسرار تشكّلاتها الجماليّة ، والأسلوبيّة ، من مثل قوله :

" **أمّا بعدُ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى بعثَ محمّداً صلّى اللهُ عليهِ وليسَ أحدٌ منَ العربِ يقـــــــــــــــــــــــــــــــرأُ كتابـــــــــــــــــــــــــــــــاً ولا يدّعي نبوّةً ولا وحياً ، فقاتلَ بمنْ أطاعَهُ من عصاهُ يسوقُهُمْ إلى منجاتِهِمْ ، ويبادرُ بهمُ السّاعةَ أن تنزلَ بهِمْ ، يحسرُ الحسيرُ، ويقفُ الكسيرُ فيُقيمُ عليهِ حتّى يلحقَهُ غايتَهُ، إلاَّ هالكاً لا خيرَ فيهِ حتّى أراهُمْ منجاتَهُمْ ، وبوَّأَهُمْ محلَّتَهُمْ ، فاستدارتْ رحاهُمْ ، واستقامتْ قناتُهُمْ، وايمُ اللهِ لقدْ كنتُ منْ ساقَتِها حتّى تولّتْ بحذافيرِهَا، واستوسقَتْ في قيادِهَا ، ما ضَعفْتُ ، ولا جبنْتُ ، ولا خنْتُ ، ولا وَهَنْتُ ، وايمُ اللهِ لأبقرنَّ الباطلَ حتّى أخرجَ الحقَّ من خاصرَتِهِ** " [2] .

[1] يُنظر : عصفور ، د. جابر . الصّورة الفنّيّة في التّراث النّقديّ والبلاغيّ ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، 1977 م ، ص299 ، و ص376 .

[2] المعتزلي ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، م4 ، ج75/7-76 .

يحقّق البناء التّعبيريّ والتّمثيل الدّلاليّ في هذا النّصّ صوراً استعاريّةً تجسيميّة شتّى ، أوّلها (استدارت رحاها) ، ففي هذه الصّورة يتكلّم الإمام عليّ عن انتظام حال العرب ، واجتماع كلمتهم بعد تفرّقهم، فيشبّه استقامة أمورهم، وصلاحها وهي حالة معنويّة مجرّدة باستدارة الرّحى ، وهي صورة حسّيّة استخلصها الإمام عليّ من الواقع المرئيّ المعيش ، ومن موجوداته الحسّيّة ؛ لأنّ الرّحى لا تدور إلاّ إذا تركّبت أجزاؤها بشكل صحيح مع بعضها ؛ لتصبح قابلة للاستدارة حول محور واحد هو قطبها الذي يُمثّل في دلالته العميقة هنا الإيمان بالرّسالة المحمّديّة .

وتتحقّق الصّورة الاستعاريّة الثانية في عبارة (استقامت قناتهم) ، والاستقامة هنا تدخل ضمن مدلول الصّورة الأولى ؛ إذ تدلّ على انتظام أمرهم واجتماع كلمتهم تحت راية الإسلام ، بما يحقّق لهم الفوز والفلاح في مناحي حياتهم كلّها ، وتنفتح الصّورتان التّعبيريّتان (استدارت رحاهم) و (استقامت قناتهم) على واقع رؤيويّ عميق نابع من معرفة دقيقة لأحوال العرب قبل البعثة المحمّدية ، وبعدها ؛ إذ تشي هاتان الصّورتان بجملة من المدلولات ، وتنفتحان على مجموعة من المعاني المتولّدة من البناء الاستعاريّ لهما ، من أهمّها : إصلاح الحال بعد فسادها ، والاستقرار الرّوحي ، والإيمان بالرّسالة المحمّديّة .

وهنا تتبدّى رحابة الفكر المُنتج لهاتين الصّورتين المختلفتين شكلاً ، المُتّفقتين دلالة عميقة ، والمشتركتين في كيفيّة إنتاجهما المرتكز على إيجاد صيغتين تجسيميّتين تنمّان على صورتين استعاريّتين اثنتين تجمع بينهما وحدة المعنى المُراد ؛ لأنّ اتّحاد الدّلالة هنا يكاد يدلّ القارئ على ضيق في المجال التّعبيريّ والصّياغيّ المُتاح أمام الأديب ، ولكنّها تمثّلت هنا أُفقاً خطابيّاً رحباً واسعاً ، وقدرة واضحة على تشكيل المعنى ، وإيصاله إلى المُتلقّي بصورتين تجسيميّتين متباينتين .

وبعد ذلك يتجلّى التّجسيم الاستعاريّ في قوله : " وأيم الله لقد كنتُ من ساقتها حتّى تولّت بحذافيرها ، واستوسقت في قيادها " ؛ إذ يعود الضّمير (ها) في ساقتها على محذوف لفظاً ، مقدّر معنى يدلّ عليه سياق الخطبة ، وهو الجاهليّة بما فيها من وثنيّة ، وشرك ، وغير ذلك ، ممّا هدمه الإسلام ؛ إذ يشبّه الجاهليّة هنا بكتيبة تصادم كتيبة الإسلام ، وجعل الإمام عليّ نفسه حاملاً عليها بسيفه ، وقوّته حتّى أدبرت تلك الكتيبة بأسرها ، وولّت جميعها إلى غير رجعة ، كما استوسقت تلك الكتيبة ؛ أي اجتمعت كلّها تحت ذلّ المقادة [1] ، وتحت راية الإسلام ؛

[1] يُنظر : المعتزلي ، ابن أبي الحديد . شرح نهج البلاغة ، م24 ، ج77/7 .

أي ولّت صاغرة مدبرة ، منهزمة ، بعد أن انتصر الدّين الإسلاميّ الجديد عليها بفضل جهاد الإمام عليّ ، وأمثاله من السّابقين للإسلام ، والهادمين للشّرك ، والجاهليّة .

وتشي المشاهد الاستعاريّة التّجسيميّة هنا بمجموعة من المدلولات (انتصار الإسلام ، انهزام الجاهليّة ، استجماع الجاهليّة لما تبقّى عندها من قوى بغية مواجهة الدّين الجديد ، انكسار الشّرك) .

ثمّ تلي هذه الصّور صورة استعاريّة تجسيميّة جديدة ، هي مركز الثّقل الدّلاليّ في هذه الصّور ، ونقطة إشعاع مركزيّة تبثّ معانيها العميقة إلى ما سبقها من صور استعاريّة ، وتقوم كلّها بدور المؤثّر، والجاذب للمُتلقّي إلى ساحة الاقتناع بما أراد الإمام عليّ ترسيخه في الأذهان، فلقد آلى على نفسه أن يظهر الحقّ ، ويبيّنه مهما كان مُتخفِّياً ، ومهما حاول الباطل إخفاءه ، وتغييبه ، فيلجأ في هذا المقام أن يصوّر الحقّ ، والباطل ، وهما أمران معنويّان بصورة حسّيّة تجسيميّة ؛ إذ يشبّه الباطل بحيوان ابتلع شيئاً أثمن منه بكثير هو الحقّ ، وأحاط به حتّى أخفاه ، وغيّبه ، ممّا جعل الحقّ يحتاج إلى رجل عالمٍ حاذقٍ خبيرٍ بخفيّات الأمور ، يستطيع إظهاره ، وإخراجه من جوف الباطل ، وإذا ما بحث الدّارس في معنى الجذر (بقر) يجد المعاني الآتية : " التّبقّر التّوسّع في العلم والمال، وكان يُقال لمحمّد بن عليّ بن الحسين الباقر رضوان الله عليهم؛ لأنّه بقر العلم، وعرف أصله ، واستنبط فرعه ، وتبقّر في العلم ، وأصل البقر : الشّقّ ، والفتح ، والتّوسعة ، بقرتُ الشّيء بقراً : فتحتُهُ ، ووسّعتُهُ ... وأصل التّبقّر التّوسّع ، والتّفتّح ، ومنه قيل : بقرتُ بطنَه إنّما هو شققته وفتحته " [1] .

ممّا يجعله يستدلّ بما لا يدع مجالاً للشّكّ على الجهد الجهيد الذي سيبذله الإمام عليّ في سبيل إظهار الحقّ من جوف الباطل، لما تحمل عمليّة البقر هذه من توسيع في شقّ الباطل، ومبالغة في هذه العمليّة ، وهذا يدلّ على أنّ الباطل يخفي الحقّ بطريقة تخفى على كثيرين ، وأنّ الباطل ذو وجوه شتّى ، تستطيع بما تحمله من زيف ، وتمويه ، تغييب وجه الحقّ الحقيقيّ لاشتباهها به ، وادّعائها صفته ، ممّا يتطلّب رجلاً حاذقاً قويّاً ، يستطيع تبيين وجه الحقّ من بين وجوه الباطل المتعدّدة ، كما أنّ التّوسعة الحسّيّة في عمليّة الشّقّ المذكورة تدلّ على أنّ إظهار الحقّ يتطلّب توسّعاً في تقديم الأدلّة ، والبراهين ، والإثباتات التي تظهره من بين أحناء الباطل ، ووجوهه الملتبسة .

[1] ابن منظور . لسان العرب ، مادّة (ب ق ر) .

وتتضافر المؤثّرات الصّوتيّة في اختيار الجذر (بقر) مع دلالاته ، ومعانيه المُرادة في هذا المقام في التّدليل عليها ، والإشارة لها ؛ إذ إنّ تركيب هذا الجذر من الحروف الثلاثة (ب ، ق ، ر) يعطي هذه المعاني ويُشير إليها، فحرف الياء متعدّد الوظائف، والخصائص الصّوتيّة ، بعضها إيمائيّ تمثيليّ ، وهذا الأمر يتجلّى عندما يكون في مقدّمة اللفظة دونما مدّ ؛ لأنّ خروج صوته من انفراج الشّفتين بعد انطباقهما على بعضهما يكون أصلح ما يكون لتمثيل الأحداث التي تدلّ معانيها على الانبثاق ، والظّهور ، والسّيلان ، بما يماثل واقعه ، انبثاق صورة من بين الشّفتين إيماءً وتمثيلاً ، وبعض هذه الخصائص إيحائيّ ؛ لأنّ انفجاره الصّوتي بانفجار الشّفتين معاً سريعاً بعد ضمّهما يكون أوحى بمعاني الحفر والقطع ، والشّقّ ، والتّحطيم ، والتّبديد ، والمفاجأة ، والشّدّة [1] .

أمّا حرف القاف ، فهو حرف يوحي بالقوّة، والقساوة، والصّلابة ، والانفجار ، والشّدّة [2] .

أمّا حرف الرّاء ، فهو يحمل خاصّيّة التّحرّك ، والتّرجيع ، والتّكرار [3] .

وباجتماع خصائص هذه الحروف الثّلاثة ومعانيها يلحظ الدّارس أنّ الجذر (بقر) يدلّ على معاني الشّقّ ، والتّحطيم ، والقطع بقوّة ، وصلابة ، وتكرار ، ممّا يستدعي ممّن يقوم بهذه العمليّة أن يحمل بالإضافة إلى العلم والمعرفة النّفوذين إلى حقائق الأشياء صفات القوّة والتّصميم، والشّدّة ، لكي يتمكّن من إظهار وجه الحقّ من بين وجوه الباطل العديدة المتنوّعة .

[1] يُنظر : عبّاس ، حسن . خصائص الحروف العربيّة ومعانيها ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 1998 م ، ص101 .

[2] يُنظر : المرجع السّابق ، ص145 .

[3] يُنظر : المرجع السّابق ، ص28 .

خاتمة البحث :

يخلص البحث إلى مجموعة من النّتائج :

1- وجود أكثر من نظريّة حداثيّة يمكن من خلالها قراءة الاستعارة ، وتفسيرها ، وإنّ من أكثرها حداثة ، واتّصافاً بالسّمة الأسلوبيّة : النّظريّة السّياقيّة ، والنّظريّة التّفاعليّة .

2- اعتماد الإمام عليّ في صوره الاستعاريّة على التّشخيص مكّنه من توليد مدلولات عدّة من هذه الصّور ، وجعلها تموج بالحركيّة والدّيناميّة المُستمرّة .

3- ارتكزت الصّور الاستعاريّة التّجسيميّة في النّصوص المدروسة على حالة من التّواشج بين أركانها العقليّة والحسّيّة ، ما جعلها تكون مفتوحة على تأويلات عدّة ، تختلف بحسب فهم المُتلقّي ، وخبرته ، وثقافته ، كما أدّت حالة التّواشج هذه إلى جعل هذه الصّور الاستعاريّة قريبة من فهمه ؛ لقيامها على نقل المعقولات إلى المجال الحسّيّ ، والواقع المعيش .

4- يختلف أثر الجملة ، والمفردة في تركيب الصّورة الاستعاريّة تبعاً لطبيعة استخدامها في السّياق ، فدخولها في الأداء الفنّيّ جعلها فاعلةً في التّراكيب ، بما يخرجها من الإشاريّة ، والمحدوديّة ، ويعطيها صفة الحركيّة ، والتّأثير ، والإدهاش .

ثبت المصادر والمراجع

1- أرسطوطاليس . كتاب أرسطوطاليس في الشّعر ، نقل أبي بشر متّى بن يونس القنّائي من السّريانيّ إلى العربيّ ، حقّقه مع ترجمة حديثة د. شكري محمّد عيّاد ، دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر ، القاهرة ، مصر ، 1386 هـ - 1967 م .

2- البحرانيّ ، كمال الدّين ميثم بن عليّ بن ميثم. شرح نهج البلاغة، دار الحبيب للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة ، قم ، إيران ، ط2 ، 1430 هـ .

3- الجرجاني ، الإمام عبد القاهر . أسرار البلاغة في علم البيان ، صحّحه وعلّق حواشيه السّيّد محمّد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ، 1981 م .

4- الجرجانيّ ، الإمام عبد القاهر . دلائل الإعجاز ، تصحيح وتعليق : السّيّد محمّد رشيد رضا ، مديريّة الكتب والمطبوعات ، سوريا ، 1988-1989 م .

5- الجرجانيّ ، القاضي عليّ بن عبد العزيز . الوساطة بين المتنبّي وخصومه ، تحقيق وشرح محمّد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمّد البجّاوي ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط4 ، 1966 م .

6- حمد، د. ثائر حسين. الاستعارة من منظور أسلوبيّ ، منشورات كلّيّة التّربية للبنات ، جامعة بغداد ، العراق ، 2015 م .

7- الرّمّاني، عليّ بن عيسى . النّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرّمّانيّ والخطّابيّ وعبد القاهر الجرجانيّ ، تحقيق د. محمّد خلف الله أحمد ، د. محمّد زغلول سلام ، دار المعارف ، مصر ، ط3 ، 1976 م .

8- زروقي ، القادر علي . صور التّجسيد والتّشخيص في شعر محمّد بلقاسم خمار ، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب ، الجزائر ، مجلّد 9 ، عدد4 ، السّنة 2020 م .

9- السّامرّائي ، د. فاضل . معاني الأبنية في العربيّة ، دار عمّار للنّشر والتّوزيع ، عمّان – الأردن ، ط2 ، 2007 م .

10- سلّوم ، د. تامر . نظريّة اللّغة والجمال في النّقد العربيّ ، دار الحوار ، اللاذقيّة ، 1983 م .

11- شبابيك ، د. عيد محمّد. الاستعارة في الدّرس المعاصر – وجهات نظر عربيّة وغربيّة ، دار حرّاء للنّشر ، القاهرة ، ط1 ، 2006 م .

12- صادق، رمضان. شعر عمر بن الفارض – دراسة أسلوبيّة، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1998 م .

13- الصّباح ، د. عصام لطفي. الصّورة الفنّيّة في شعر الوأواء الدّمشقيّ ، دار زهدي للنّشر والتّوزيع ، عمّان ، الأردن ، ط1 ، 2016 م .
14- العاكوب ، د. عيسى . المفصّل في علوم البلاغة ، البديع والبيان والمعاني ، منشورات جامعة حلب ، كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة ، 2000م .
15- عبّاس ، د. حسن . خصائص الحروف العربيّة ومعانيها ، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، 1998 م .
16- أبو العدوس ، د. يوسف . الاستعارة في النّقد الأدبي الحديث – الأبعاد المعرفيّة والجماليّة ، منشورات الأهليّة للنّشر والتّوزيع ، عمّان – الأردن ، ط1 ، 1997 م .
17- العسكريّ ، أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل . كتاب الصّناعتين الكتابة والشّعر ، تحقيق عليّ محمّد البجّاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة – مصر، ط1 ، 1952 م .
18- عصفور ، د. جابر . الصّورة الفنّيّة في التّراث النّقديّ والبلاغيّ ، دار المعارف ، القاهرة – مصر ، 1977 م .
19- عيد، د. رجاء . فلسفة البلاغة بين التّقنيّة والتّطوّر، دار المعارف، الإسكندريّة ، مصر ، ط2 ، 1977 م .
20- فضل ، د. صلاح . بلاغة الخطاب وعلم النّصّ ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، العدد164 ، أغسطس 1992 م .
21- كوهن ، جان . بنية اللّغة الشّعريّة ، ترجمة محمّد الوليّ ومحمّد العمريّ ، دار توبقال للنّشر ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986 م .
22- المسدّيّ ، د. عبد السّلام . الأسلوبيّة والأسلوب، الدّار العربيّة للكتاب ، تونس ، ط3 ، د.ت .
23- المعتزلي، ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتاب العربيّ ، بغداد ، ط1 ، 2007 م.
24- مفتاح ، د. محمّد . تحليل الخطاب الشّعريّ – استراتيجيّة التّناص ، المركز الثقافيّ العربيّ ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1986 م .
25- مفتاح ، د. محمّد . مجهول البيان ، دار توبقال للنّشر ، الدّار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1990 م .

26- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم . لسان العرب ، منشورات الأعلميّ للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2005 م .

27- وهبة ، مجدي . معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، ناشرون ، بيروت ، 1974 م.

List the sources and references

1- Aristotalis. Aristotalis Book of Poetry, transferred by Abu Bishr Matta bin Yunus al-Qana'i from Syriac to Arabic, verified with a recent translation by Dr. Shukri Muhammad Ayyad, Dar Al-Kitab Al-Arabi for Printing and Publishing, Cairo, Egypt, 1386 AH - 1967 AD.

2- Al-Bahrani, Kamal Al-Din Maytham bin Ali bin Maytham. Explanation of Nahj al-Balagha, Dar al-Habib for printing, publishing, distribution and translation, Qom, Iran, 2nd edition, 1430 AH.

3- Al-Jurjani, Imam Abdul Qaher. Asrar al-Balagha in the science of rhetoric, corrected and commented on by Mr. Muhammad Rashid Rida, Dar al-Maarifa, Beirut - Lebanon, 1981 AD.

4- Al-Jurjani, Imam Abdul Qaher. Evidence of Miracles, Correction and Commentary: Mr. Muhammad Rashid Rida, Directorate of Books and Publications, Syria, 1988-1989.

5- Al-Jurjani, Judge Ali bin Abdul Aziz. Mediation between Al-Mutanabi and his opponents, investigation and explanation by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Ali Muhammad al-Bajjawi, Dar al-Qalam, Beirut - Lebanon, 4th edition, 1966 AD.

6- Hamad, pro. Thaer Hussain. Metaphor from a Stylistic Perspective, Publications of the College of Education for Girls, University of Baghdad, Iraq, 2015.

7- Al-Rumani, Ali bin Issa. The Jokes on the Miracle of the Qur'an within Three Letters on the Miracle of the Qur'an by Al-Rumani, Al-Khattabi and Abdul-Qaher Al-Jarjani, investigated by pro. Muhammad Khalaf Allah Ahmad, pro. Muhammad Zaghloul Salam, Dar Al Maaref, Egypt, 3rd edition, 1976 AD.

8- Zrougui, Qadir Ali. Images of Embodiment and Diagnosis in the Poetry of Muhammad Belkacem Khemmar, Journal of Ichkalat in Language and Literature, Algeria, Volume 9, Number 4, Year 2020 AD.

9- Al-Samarrai, pro. Fadel . The Meanings of Buildings in Arabic, Dar Ammar for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 2nd Edition, 2007 AD.

10- Salloum, pro. Tamer. Theory of language and beauty in Arabic criticism, Dar Al-Hiwar, Lattakia, 1983.

11- Shababic, d. Muhammed's Eid. Metaphor in the Contemporary Lesson - Arab and Western Perspectives, Dar Hira Publishing, Cairo, 1st Edition, 2006 AD.

12- Sadiq, Ramadan. Poetry of Omar Ibn Al-Farid - a stylistic study, the General Egyptian Book Organization, 1998 AD.

13- Al-Sabah, pro. Essam Lotfy. The artistic image in the poetry of Al-Wawa' Al-Damascus, Dar Zuhdi for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st edition, 2016.

14- Al-Akoub, pro. Issa . Al-Mofassal in the Sciences of Rhetoric, Al-Badi', Al-Bayan and Al-Ma'ani, Aleppo University Publications, College of Arts and Humanities, 2000 AD.

15- Abbas, pro. Hassan . Characteristics of Arabic letters and their meanings, Publications of the Arab Writers Union, Damascus, 1998.

16- Abu Al-Adous, pro. Youssef . Metaphor in Modern Literary Criticism - Cognitive and Aesthetic Dimensions, Al Ahlia Publications for Publishing and Distribution, Amman - Jordan, 1st Edition, 1997 AD.

17- Al-Askari, Abi Hilal Al-Hassan bin Abdullah bin Sahl. The Book of the Two Industries, Writing and Poetry, investigated by Ali Muhammad Al-Bajawi, Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, Cairo - Egypt, 1, 1952 AD.

18- Asfour, pro. Jaber . The artistic image in the monetary and rhetorical heritage, Dar Al-Maaref, Cairo - Egypt, 1977.

19- Eid, pro. Rajaa' . The Philosophy of Rhetoric between Technology and Evolution, Dar Al Maaref, Alexandria, Egypt, 2nd Edition, 1977 AD.

20- Fadl, pro. Salah . The eloquence of discourse and the science of the text, The World of Knowledge series, Kuwait, No. 164, August 1992.

21- Cohn, Jean. The Structure of the Poetic Language, translated by Muhammad Al-Wali and Muhammad Al-Omari, Toubkal Publishing House, Casablanca, Morocco, I 1, 1986 AD.

22- Al-Masadi, pro. Abdulsalam . Stylistics and Style, Arab Book House, Tunis, 3rd edition, d.T.

23- Al-Mu'tazili, Ibn Abi Al-Hadid. Explanation of Nahj al-Balagha, investigated by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Kitab al-Arabi, Baghdad, 1, 2007 AD.

24- Mouftah, pro. Mohammed . Poetic Discourse Analysis - The Intertextuality Strategy, The Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 1st Edition, 1986 AD.

25- Mouftah, pro. Mohammed . Medjool Al-Bayan, Dar Toubkal Publishing, Casablanca, Morocco, 1st edition, 1990 AD.

26- Ibn Manzur, Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad bin Makram. Lisan Al-Arab, Al-Alamy Publications, Beirut - Lebanon, 1st Edition, 2005 AD.

27- Wahba, Magdy. A Dictionary of Literary Terms, Library of Lebanon, Publishers, Beirut, 1974 AD.

العَامِلُ النَّحْوِيُّ عندَ المَرزُوقِي تـ 421هـ

إعدَادُ: عبد الله صالح اليونس

كُليَّةُ الآدابِ – قسمُ اللُّغةِ العربيَّة – جامعةُ البَعث

إشراف: أ.د. سمير معلوف – أ.د عصام الكوسى مشاركاً

ملخَّص البحث

استقرَّت نظريةُ العامل في الفكرِ النحوي منذُ سيبويه، وتوسَّع النحاةُ فيها توسُّعاً كبيراً، فتحدَّثوا عن العاملِ اللفظي والعاملِ المعنوي، والعاملِ القوي والعاملِ الضعيف، وتوصَّلُوا من خلالِ هذه النظرية إلى قواعدَ كثيرة رائدة في الفكر النحوي، ولم تسلَم هذه النظريةُ من النقدِ قديماً وحديثاً، لكنَّها ظلَّت مسيطرةً على التحليل النحوي حتى يومنا هذا.

وقد كان المرزوقي (تـ421هـ) من النحاة الذين تأثَّروا بالعامل النحوي في مؤلَّفاتِه، ويسعَى هذا البحثُ إلى بيانِ موقفِهِ من العوامل والمعمولات التي يقفُ عليها في شروحه الشعرية واللغوية، ومدَى فاعليتها في تحليلِ النصِّ نحوياً، وعرضِ الأحكامِ النحوية الناجمة عنها على آراءِ النحاةِ ما أمكن ذلك.

الكلمات المفتاحية: العامل، النحوي، المرزوقي.

Research Summary

The factor theory has been settled in grammatical thought since Sibawayh, and the grammarians have greatly expanded in it, so they talked about the verbal factor and the moral factor, the strong factor and the weak factor, and through this theory they reached many pioneering rules in grammatical thought, and this theory did not escape criticism, ancient and modern. It has dominated grammatical analysis to this day.

Al-Marzouki (d. 421 AH) was one of the grammarians who were affected by the grammatical factor in his writings, and this research seeks to clarify his position on the factors and actions that he stands on in his poetic and linguistic explanations, and the extent of their effectiveness in analyzing the text grammatically, and presenting the grammatical rulings resulting from them to the opinions of that grammarians as possible. .

Keywords: worker, grammarian, Marzouki

مقـدِّمة:

لا يخفى على المطَّلع على تراثنا النحويّ ما لنظرية العامل من أهميّةٍ وحضورٍ لافتٍ في الدرس النحويّ العربي قديمِه وحديثِه، فهي نظريةٌ تحكَّمت إلى حدٍّ بعيدٍ ببنيان النحو وتحليلاته الإعرابية، وهي عمودٌ راسخٌ في بنيان النحو العربي، فقد رأى النحاة أنَّ فكرةَ العامل مرتبطةٌ بطبيعة اللغة العربية، فهي لغةٌ معربةٌ، إذ يتغيّر إعراب آخر الكلمة فيها تِبعاً لاختلاف موقعها في الجملة، وتِبعاً للمعنى النحوي الذي تؤدّيه، وقد قاد هذا التغييرُ النحويينَ إلى ملاحظة التغيير الذي ينشأ من ارتباط الكلام بعضَه ببعض، فبعض الكلمات يؤثِّرُ في بعضها الآخر، فسمُّوا المؤثِّر الذي تتغيَّر بسببه حركةُ آخر الكلمة المتأثِّرةِ عاملاً، وسمُّوا الكلمة المتأثرة معمولاً.

وقد توالى اهتمام النحاة بفكرة العامل من لدن سيبويه، حتى أصبحت شغلَهم الشاغل والأساسَ الذي يبنون عليه أحكامهم، ونتجَت عن هذه النظرية قواعدُ منها ما هو مستقىً من طبيعة اللغة وفطرتها كتقسيم العوامل إلى ظاهرة ومقدّرة، وكأن يكونَ الإعراب حادثاً عن عامل، ومنها ما هو مُقحم عليها من منطق العقل، كتنازع عاملين في عامل واحد، وما نجده في باب الاشتغال، وذلك جعل الباب مفتوحاً أمام النحاة في تناول هذه النظرية وتطبيقها على نصوص اللغة العربية، بل إنَّ بعضهم ألَّف كتباً خاصةً في تناول العوامل وتبيين أنواعها وتقسيماتها، منها ما لم يصل إلينا ككتاب أبي علي الفارسي[1]، ومنها ما وصل إلينا وهو أهمها وهو كتاب عبد القاهر الجرجاني (العوامل المئة) وقد كثُرت الشروح عليه.

[1] انظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1/309.

أهميةُ البحث:

إنَّ أهمية البحث تنبعُ من دراسته لقضيةٍ يعدُّها النحاة عمودَ النحو الرئيس الذي بُني عليه هيكله وبناؤه، وهي قضية العامل، ثمَّ من حيث إنّه يحاول الكشف عن هذه النظرية وما لها من تأثير في شروح الشعر واللغة عند عالِمنا المرزوقي[1]، فيحاول تتبع ملاحظاته عن العوامل والمعمولات وتعليقاته عليها.

منهجُ البحث:

يتبع البحث في تقديمه للعامل النحوي عند المرزوقي المنهجَ الوصفي الذي لا يخلو من التقويم، وقد التزمَ البحثُ في أثناء العرض خطواتٍ، منها تعريفُ مصطلح البحث تعريفاً إجرائياً، وتخريجُ الأبيات موضع الشاهد، وعرض تعليقات المرزوقي على العوامل والمعمولات على آراء العلماء ما أمكن ذلك.

حدودُ البحث:

يدرسُ البحث العامل النحوي في المسائل النحوية التي عرضها المؤلف في مصنّفاته، فنطاقُ البحث الأوّل يشمل مؤلّفات المرزوقي المطبوعة والمخطوطة وهي (الأزمنة والأمكنة، وشرح الفصيح، وأمالي المرزوقي، وشرح ديوان الحماسة، وشرح مشكلات ديوان أبي تمام، وشرح المفضليات "خ")، أما نطاق البحث الثاني فيشمل الكتب النحوية ذات الصلة بقضية العامل النحوي.

[1] هو أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصبهاني، من أعلام القرنين الرابع والخامس الهجريين، نشأ في أصبهان وترعرع فيها. شَهِدَت له كتب التراجم بتفوّقه العلمي وعلوّ منزلته وثقافته الواسعة. مؤلّفاتُه: 1- شرح ديوان الحماسة، وهو أهمّ مؤلفاته، 2- الأزمنة والأمكنة، 3- أمالي المرزوقي، 4- شرح المفضليات وما زال مخطوطاً، 5- شرح الفصيح، 6- شرح مشكلات ديوان أبي تمام، 7- شرح أشعار هذيل وهو مفقود. 8- كتاب شرح النحو وهو مفقود أيضاً، كانت وفاته في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة للهجرة.

هدفُ البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن نظرة المرزوقي إلى العوامل النحوية وإظهارها في شروحه وكتبه من خلال شرح النصوص الشعرية التي يسعى المرزوقي من خلالها إلى إبراز العلاقة بين العامل والمعمول في سبك البيت الشعري وتوضيح المعنى، ثم النظر إلى هذه التعليقات وما ينجم عنها من أحكام نحوية.

تعريف العامل:

مدلول العمل لغةً: "حَرَكَةُ البدَنِ بكُلِّه أَو بَعضِه، وربّما أطلِقَ على حَرَكَةِ النَّفسِ، فَهو إحداثُ أمرٍ قَولاً كانَ أَو فِعلاً، بالجارِحَةِ، أَو القَلب...عمل فلان العمل..فهو عامل"[1].

أما تعريفه اصطلاحاً فقد عرَّفه الجرجاني بقوله: "العامل: ما أوجب كونَ آخرِ الكلمة على وجهٍ مخصوص من الإعراب.

العامل القياسي: هو ما صحَّ أن يُقال فيه: كلُّ ما كان كذا فإنه يعمل كذا، كقولنا: غلام زيد، لما رأيت أثر الأول في الثاني وعرفت علته قست عليه: ضرب زيد، وثوب بكر.

العامل السماعي: هو ما صحَّ أن يُقال فيه: هذا يعمل كذا وهذا يعمل كذا، وليس لك أن تتجاوز، كقولنا: إن "الباء" تجر، و"لم" تجزم، وغيرهما.

العامل المعنوي: هو الذي لا يكون للسان فيه حظٌّ، وإنما هو معنى يعرف بالقلب"[2].

وقد عرّفه ابن الحاجب بقوله: "العامل هو الذي به يتقوَّم المعنى المقتضي للإعراب، وقد علمنا أن المقتضي للإعراب الفاعلية والمفعولية والإضافة، خيفة التباسها، ولا يتقوَّم كلٌّ واحد منها إلا بأمر ينضم إليه في التركيب، فذلك الأمر الذي يستقل به ذلك المعنى هو الذي يسمى عاملاً"[3].

وأغلب التعريفات التي يطلقها النحاة على العامل تشير إلى "وجود نظامٍ للحركات الإعرابية يربط بينها وبين الدلالة، دون تفصيلٍ لهذا النظام أو تحديدٍ لهذا الربط"[4]، فهي تقوم على وجود أثرٍ ومؤثِّر، فالأثر هو الإعراب، والمؤثِّر هو لفظٌ أو معنى في الجملة، يقتضي ذلك الأثر.

---

[1] تاج العروس: الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، 1971، مادة (عمل).

[2] التعريفات: الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983، 145-146.

[3] شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب: ابن الحاجب، تحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 1997م، ص242

[4] الحذف والتقدير في النحو العربي: د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007، ص 24.

وقد حظيت نظرية العامل باهتمامٍ كبيرٍ من النحاة منذ نشأة النحو، فالتعبير عن العامل وإن كان غيرَ صريحٍ عند أوائل النحاة مثل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي تـ117هـ، وتلميذه عيسى بن عمر (تـ149هـ)، بدا جلياً في أقوال خالفيهم (أعني الخليل تـ170هـ، وسيبويه تـ180هـ)، فأوّل إشارةٍ تدلنا على مصطلح العامل ظهرت في كتاب سيبويه في حديثه عن تغيُّر مجاري أواخر الكلم في العربية، قال سيبويه: "وإنّما ذكرتُ لك ثمانيةَ مجار لأفرقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحِدثُ فيه العامل – وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه – وبين ما يُبْنَى عليه الحرفُ بناءً لا يزول عنه لغير شيء أحدثَ ذلك فيه من العوامل، التي لكلّ منها ضربٌ من اللفظ في الحرف، وذلك الحرفُ حرف الإعراب"[1].

وقد ميَّزَ سيبويه بين نوعين من العوامل في الكلم، لفظي ومعنوي، قال: "وذلك قولك: زيدٌ كم مرةً رأيته، وعبدُ الله هل لقيته، وعمروٌ هلاَّ لقيته، وكذلك سائر حروف الاستفهام فالعامل فيه الابتداء، كما أنك لو قلت أرأيت زيداً هل لقيته، كان (أرأيت) هو العامل، وكذلك إذا قلت: قد علمت زيداً كم لقيته، كان (علمت) هو العامل، فكذلك هذا"[2].

فبيَّن أن العامل الموجود في اللفظ مثل (أرأيت، وعلمت) هو الذي يُحدث الأثر فيما بعده، وكما أنّ هذا العامل اللفظي الظاهر يحدث أثراً في لفظ تابع له هو معموله، فهنالك عامل معنوي يُفهم في القلب هو عامل الابتداء، ولا يقلُّ أثره عن أثر العامل اللفظي الظاهر.

ولم يقف سيبويه عند هذا التمييز لأنواع العوامل، بل إنّه وضَّح أثر العوامل وحدودها في المعمول، فالفعل لا يعمل فيما قبله إذا فصل بينهما بفاصل له أوّلية الكلام وحقّه، قال سيبويه: "ولا يجوز أن تقول: زيداً هل رأيت إلا أن تريد معنى الهاء، مع ضعفه، فترفع لأنك قد فصلت بين المبتدأ وبين الفعل فصار الاسم مبتدأً والفعل بعد حرف الاستفهام"[3]، فلم يُجِز سيبويه نصب

[1] الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988. 1/13.

[2] الكتاب: سيبويه، 1/127.

[3] الكتاب: سيبويه، 1/127.

(زيداً) على أن يكون مفعولاً به للفعل رأيت، لأنَّ العامل (الفعل رأيت) لا يصل أثره للمعمول (زيد) لِمَا بينهما من فاصلٍ وهو حرف الاستفهام الذي له حقُّ الصدارة في الكلام، فـ"سيبويه يرى أنَّ العمل الإعرابي إنما يتمُّ نتيجةً للاقتران بين عامل ومعمول، وليست العلاقة بينهما آلية مجرّدة، وإنَّما هي علاقةٌ يقتضيها منطق اللغة، وتمليها طبيعة الحسّ، وتفرضها طبيعة تركيب اللغة"[1].

وسار النحاة بعد سيبويه على هذا المنهج في تعاملهم مع العامل الذي أضحى له أصوله وفروعه وخضع لعلم المنطق والكلام، وكان اختلاف العلماء فيه نتيجةً طبيعيةً لاختلاف مذاهبهم، ومن أبرز أوجه الخلاف في العامل ما اختلفت فيه مدرستا البصرة والكوفة في مسألة تنازع العاملين العمل في معمول واحد[2]، ولكنهم مع هذا الاختلاف لم يغفلوا قضية العامل، بل كانت مرتكزَهم الرئيس في تقعيد النحو وتفسير قضاياه.

وقد تفاوت نظر النحاة القدماء والمحدثين في نظرية العامل واختلفت مواقفهم منها بين تنظير أو تفسير أو رفض أو تسويغ أو ترشيح، فمن القدماء من اعترض على كثير من أصول نظرية العامل كابن مضاء القرطبي الذي اشتُهر بكتابه (الردّ على النحاة)، وكان موقفه من نظرية العامل أنّه ليس هناك عامل لفظي ولا معنوي، فالمتكلم هو الذي يعمل الرفع والنصب والجر والجزم، كما رأى أنَّ تقدير كثير من العوامل المحذوفة فيه تعنُّت يخرج الكلام عما كان عليه قبل التقدير[3]، كما تابع عددٌ من العلماء المحدثين رأيَ ابن مضاء في موقفه من بعض جزئيات نظرية العامل فرأوا أنَّ النحاة "يولِّدون من القاعدة العامة في العوامل قواعدَ كلها عجبٌ يجافي الطبع، ويخالف طبيعة الكلام، ومن ذلك كلامهم في تنازع عاملين على معمول واحد،

[1] ابن يعيش النحوي: د. عبد الإله نبهان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997، ص 547.

[2] انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات الأنباري، ص1/71.

[3] انظر: الرد على النحاة: ابن مضاء القرطبي، تحقيق: د.محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، 1979، ص 69-72.

أنهم لا يتحملون أن يكون المعمول إلا خاضعاً لتأثير أحدهما، أما الآخر فلا بدَّ له من معمول آخر، وفي فروع هذه المسألة ما يكدُّ فيه الذهن ويجهد فيه الفكر بلا طائل، ولا سيما حين يتنازع العاملان في معمول واحد، كل منهما على جهة غير الجهة التي يطلبه بها العامل الآخر"[1].

وقد وقف بعض النحاة موقفاً وسطاً من نظرية العامل انطلاقاً من أنَّ العمل النحوي حقيقةٌ لا يمكن إنكارها، وأنَّ المعارضين لنظرية العامل لم يُوجِدوا بديلاً من نظرية العامل في تفسير ظواهر اللغة، يقول د. محمد عبدو فلفل: "فما تراءَى لي في مسيرتي التعليمية المديدة أنه لا غنى لنا عن هذه النظرية في تعليم النحو وهيكلته وتبويبه، ولا نفتأ نتكئ عليها في تعليم النحو حتى يومنا هذا، ولكن ذلك لا يمنعني من القول أيضاً بأن ما تصوره النحاة لها على مر الأيام من القواعد والأحكام جعلها مصدر إرباك في التحليل النحوي للتركيب اللغوي، وكأني بالأستاذ الدكتور سيف بن عبد الرحمن العريفي إلى ذلك رمى بقوله في حديث خاص عن هذه النظرية :إن لنظرية العامل قدر ما عليها"[2].

العامل عند المرزوقي:

لم تغب فكرة العامل عن ذهن المرزوقي بل نجده يشير إليها في غير ما موضع، فينصّ على أنَّ أثر الرفع في كذا إنّما هو بسبب العامل كذا، وأنّ كذا يعمل النصب في كذا، لكنّه لم يشر إلى قسمة العوامل إلى لفظية أو معنوية، ولم يقسم العوامل اللفظية إلى ظاهرة أو مقدرة، فهذه التقسيمات للعامل كانت لمَّا تظهر بعدُ زمن المرزوقي، وأول ظهور لها فيما أحسب ما ذكره عبد القاهر الجرجاني (ت474هـ) في كتابه (العوامل المئة)، لكنّ عبارة المرزوقي كانت توحي بهذه القسمة دون تصريح.

[1] نحو التيسير دراسة ونقد منهجي: د. أحمد الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984، ص 43-44.

[2] مراجعات في النحو العربي: د.محمد عبدو فلفل، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2018، ص 196.

أ- العوامل الظاهرة والمقدرة:

فمن إشارته إلى العوامل اللفظية الظاهرة قوله في شرح بيت عنترة بن الأخرس[1]:

أَطِـلْ حَمـلَ الشَّـناءَةِ لـي وبُغضِـي وعِش مـا شـيتَ فـانظُر مـن تَضِـيرُ

"وانتصب موضع ما شيت على أنّه ظرف، و(من) مفعول (تضير)؛ لأنّه استفهامٌ فلا يعمل فيه ما قبله، أي: انظر تضيرُ من"[2].

فالمرزوقي يحدّد العامل في اسم الاستفهام وهو الفعل (تضير) ويحدّد المعمول وهو اسم الاستفهام (من)، ويحدّد العمل الذي أثره العامل في المعمول وهو النصب على المفعولية، بل إنّه أضافَ تعليلاً فيه احترازٌ من الوقوع في الخطأ من المتلقي، ذلك أن ما قبل الاستفهام لا يعمل في الاستفهام، لأن الاستفهام له الصدارة، فلا يصحُّ أن يكون اسم الاستفهام مفعولاً للفعل (انظر).

وقال المرزوقي في بيت سلمة بن الخرشب[3]:

فـأدرَكَهَم شـرقَ المـرورَاةِ مَقصـرَاً بقيـةُ نسـلٍ مـن بنـاتِ القُراقِـر

"وقولـه (مقصـراً) انتصـب علـى الظـرف، أي عشـية، وارتفـع (بقيّـةُ نسـل) علـى أنـه فاعـل (أدركهم) توسعاً"[4].

فيفهم من كلام المرزوقي أنَّ العامل في (بقية) هو الفعل (أدركهم) وعمله الرفع على الفاعلية، وأضاف (توسعاً) ليبيّن أنَّه من باب المجاز والاتساع في استعمال اللغة في وقوع الفعل

[1] من الحماسية الثالثة والخمسين في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي

[2] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت. 1/220.

[3] المفضلية الرابعة في شرح المفضليات للمرزوقي، مَقصرَاً: أي عشاءً، والمروراة: اسم موضع، القُراقِر: اسم فرس .

[4] شرح المفضليات: المرزوقي، مخطوط مكتبة برلين، رقم 7446، ص 1/82.

على فاعل غير عاقل، وفي نسبة الفعل لغير العاقل، وقد نصّ على ذكر المعمول في هذا البيت لما حصل بين العامل والمعمول من فصل بالظرف، فدلّ بذلك على ترابط الكلام وتماسكه.

ومن إشارته إلى العوامل اللفظية المقدرة قوله في بيت الجميح[1]:

أمسَـت أمامـةُ صـمتاً مـا تُكلِّمُنـا مجنونـةً أم أحسَّـت أهـلَ خَـرُّوبِ

"ويروى: (ما لأمامة صمتاً) ويكون الكلام استفهاماً، والعامل فيه فعلٌ دلَّ عليه (ما لأمامة)، وفي القرآن ﴿مَا لَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَين﴾[2]، وصمتاً في موضع الحال"[3]. ويقصد المرزوقي أن العامل في الحال (صمتاً) هو فعلٌ مقدَّر من معنى عبارة (ما لأمامة صمتاً) وكأنَّ التقدير: ما لأمامة تسكت على هذه الحال صمتاً، وتكون هذه الحال لازمة[4]؛ لأنَّ الكلام لا يتمُّ دونها، وضرب المرزوقي لهذا النوع من الكلام مثلاً يستدل به قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَين﴾ ليكون توجيه البيت كتوجيه الآية الكريمة، فـ(فئتين) في الآية الكريمة حال والعامل فيها مقدر، قال أبو حيان: "وفي الْمُنَافِقِينَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا تَعَلَّقَ بِهِ لَكُمْ، وَهُوَ كَائِنٌ أَيْ: أَيْ شَيْءٌ كَائِنٌ لَكُمْ فِي شَأْنِ الْمُنَافِقِينَ. أَوْ بِمَعْنَى فِئَتَيْنِ أَيْ: فِرْقَتَيْنِ فِي أَمْرِ الْمُنَافِقِينَ. وَانْتَصَبَ فِئَتَيْنِ عَلَى الْحَالِ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ مِنْ ضَمِيرِ الْخِطَابِ فِي لَكُمْ، وَالْعَامِلُ فِيهَا الْعَامِلُ فِي لَكُمْ. وَذَهَبَ الْكُوفِيُّونَ إِلَى أَنَّهُ مَنْصُوبٌ عَلَى إِضْمَارِ كَانَ أَيْ: كنتم فئتين"[5].

---

[1] المفضلية الثالثة في شرح المفضليات للمرزوقي.

[2] النساء: 88.

[3] شرح المفضليات: المرزوقي، 1/59.

[4] والحال اللازمة ما جاءت دالة على وصف ثابت، انظر: شرح شذور الذهب: ابن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة ، سوريا، 322.

[5] البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ، ص4/8، وانظر: الدر المصون: السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، 4/60، وهذا الوجه الذي بيناه في الآية الكريمة والبيت هو مذهب البصريين، أما الكوفيون فيجعلون الاسم بعد (ما لك) و(ما بالك) و(ما شأنك) منصوباً على أنه خبر مثل خبر الأفعال الناقصة، "لأنهن نواقص في المعنى وإن ظننت أنهن تامات".

وقال المرزوقي في بيت سلمة بن الخرشب[1]:

فــإنَّ بنـــي ذُبيـــانَ حيـــثُ عهـــدتُم بجــزعِ البتيــلِ بــينَ بــادٍ وحاضــرِ

"وقوله حيث عهدتم خبر (إن)....وقوله: (بجزع) تعلق الباء بـ(عهدتم) فيكون كلاماً واحداً، ويجوز أن يكون بدلاً من قوله (حيث عهدتم)، فيكون العامل فيه حينئذٍ ما عمل في (حيث) من معنى الاستقرار، كأنه قال: إنّ بني ذبيان بجزع البتيل، وانتصب (بين) على الظرف، والعامل فيه ما عمل في (جزع البتيل) من الفعل الذي اقتضاه الباء"[2].

فالمرزوقي جعل الظرف (حيث) متعلقاً بالخبر المقدّر، وتقدير الكلام: إنَّ بني ذبيان مستقرون أو نازلون حيث عهدتم، ويكون الخبر عاملاً في الظرف، ثمّ إنَّه جعل للجار والمجرور وجهين في التعليق، فإما أن يتمَّ التعليق بالفعل (عهدتم)، أو أن يكون الجار والمجرور بدلاً من الظرف (حيث) ويتم تعليقهما بالاستقرار المقدر الذي عُلِّق به (حيث)، كما أن عمل الاستقرار المقدر وصل إلى الظرف (بين) فصار متعلقاً به.

ب- العوامل الأصلية والفرعية:

اقتضت طبيعة العوامل ومدى تأثيرها في معمولاتها أن يكون بعضها أصلياً يعمل دون شروط، وأن يكون بعضها فرعاً على العوامل الأصلية يصل تأثيره إلى معموله بشروط خاصة، قال ناظر الجيش: "العمل أصل في الأفعال فرع في الأسماء والحروف بدليل أن الأفعال عاملة، وأما الأسماء فلا يعمل منها إلا ما أشبه الأفعال، فدل ذلك على أن العمل بحق الأصالة إنما

معاني القرآن: الفراء، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 1/281.

[1] المفضلية الرابعة في شرح المفضليات للمرزوقي.

[2] شرح المفضليات: المرزوقي، 1/72.

كان للأفعال فما وجد على هذا من الأسماء والحروف عاملاً، فينبغي أن يسأل عن الموجب لعمله"[1].

وقد كان المرزوقي مُتنبِّهاً لعمل العامل من حيث الأصالة والفرعية، فالأفعال عملها أصلي، أما الأسماء والحروف فعملها فرعي، فمن ذكره للعوامل الفرعية ما قاله المرزوقي في بيت سلامة بن جندل[2]:

زُرقـــاً أســـنتُها حُمـــراً مثقَّفـــةً أطـــرافُهنَّ مقيـــلٌ لليعاســـيب

"وأعمل (الزرق) إعمال الفعل وإن كان جمعاً لأن لفظه لفظ الواحد فهو كقولك: مررت برجل حسان ثيابه، وظراف آباؤه"[3].

فالاسم (زرقاً) اسم مشتق صفة مشبهة باسم الفاعل، وقد عمل الرفع في الاسم بعده (أسنتها) فرفعه على الفاعلية، وعمل الأسماء فرعي، والصفة المشبهة لا تعمل إلا بشروط لأنها فرع على اسم الفاعل، وعمل اسم فاعل فرعٌ على فعله المتعدي، فمن شروط عمل اسم الفاعل أن يكون دالاً على الحال أو الاستقبال، فلا يعمل إذا كان دالاً على الماضي، وأن يكون معتمداً على استفهام أو نداء أو نفي، أو أن يكون خبراً أو صفة أو مسنداً، أو أن يكون واقعاً صلة لـ(ال)[4]، وإذا عمل اسم الفاعل فهو يعمل متقدماً على معموله أو متأخراً، ويكون معموله سببياً أو أجنبياً، والصفة المشبهة لما كانت فرعاً على اسم الفاعل، لم يجوزوا أن تعمل فيما تقدم عليها،

[1] تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش، تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرين، دار السلام ، مصر، ط1، 1428هـ. 3/1302.

[2] المفضلية العشرون في شرح المفضليات للمرزوقي.

[3] شرح المفضليات، المرزوقي، 1/399.

[4] انظر: شرح ابن عقيل: ابن عقيل الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، 1/111-106

ولا تعمل إلا في سببي نحو: (زيدٌ حسنٌ وجهُه)، فلا يجوز أن تعمل في أجنبي كقولنا (زيد حسنٌ عمراً)[1].

ومن العوامل الفرعية التي لا تعمل إلا بشروط خاصة (أفعل) التفضيل، وعمله الرفع، وإذا لم تتوفر فيه الشروط اللازمة لعمله وجاء بعده ما يوهم أنه معمول له، قدر فعل من معنى اسم التفضيل فعمل في الاسم الظاهر، والمرزوقي في حديثه عن هذه المسألة بدا ضابطاً لهذه الشروط لكنه لم يصرح بها، قال في بيت النمري[2]:

فجَـــالَ قلـــيلاً واتَّقـــانِي بخَيـــرِهِ سَـنَامَاً وأمــلاهُ مــنَ النَّــيِّ كاهلُــه

"وانتصب (سناماً على التمييز، وارتفع قوله (كاهله) بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه (وأملاه)، كأنه لما قال: (وأملاه من النيِ) قال (امتلأ كاهله)، ويشبه هذا قول الآخر في إضمار الفعل، وإن كان هذا ناصباً وذاك رافعاً، وهو[3]:

وأضربَ منَّا بالسُّيوفِ القَوانِسَا

وانتصاب (القوانسا) بفعلٍ مضمرٍ دلَّ عليه (وأضرب منا)، كما أنَّ ارتفاع (الكاهل) بفعل دل عليه (وأملاه)"[4].

فقد أقر المرزوقي أن عامل الرفع في الاسم الظاهر (كاهله) ليس (أفعل) التفضيل، إنما هو فعل مقدر في معناه، وقد قدره بقوله (امتلأ كاهله)، وقد وضع النحاة شروطاً لعمل أفعل التفضيل الرفع، وعمله مشهور بمسألة (الكحل)، قال الأشموني: "أفعل التفضيل يرفع الضمير المستتر في

[1] انظر: شرح ابن عقيل: 1/143.

[2] وهو منصور بن سلمة بن الزبرقان، كان مقدماً عند الرشيد، مات في خلافة الرشيد، والبيت من الحماسية التاسعة والأربعين بعد السبعمائة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

[3] هذا عجز بيت وصدره: أكرَّ وأحمى للحقيقة منهم، وهو للعباس بن مرداس والبيت من الحماسية الواحدة والخمسين بعد المائة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، البيت مشهور في كتب النحاة.

[4] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 4/1700.

كل لغة، ولا يرفع اسمًا ظاهرًا ولا ضميرًا بارزًا إلا قليلًا، حكى سيبويه: "مررت برجل أكرم منه أبوه"، وذلك لأنه ضعيف الشبه باسم الفاعل، من قبل أنه في حال تجريده لا يؤنث ولا يُثنى ولا يُجمع، وهذا إذا لم يعاقب فعلًا، أي: لم يحسن أن يقع موقعه فعل بمعناه "ومتى عاقب فعلًا فكثيرًا" رفعه الظاهر "ثبتًا" وذلك إذا سبقه نفي، وكان مرفوعه أجنبيًّا، مفصلًا على نفسه باعتبارين نحو: "ما رأيت رجلًا أحسن في عينه الكحل منه في عين زيد"، فإنه يجوز أن يقال: ما رأيت رجلًا يحسن في عينه الكحل كحسنه في عين زيد؛ لأن أفعل التفضيل إنما قصر عن رفع الظاهر لأنه ليس له فعل بمعناه، وفي هذا المثال يصح أن يقع موقعه فعل بمعناه، كما رأيت"[1]، فلما كان أفعل التفضيل في البيت الذي يشرحه المرزوقي خارجاً عن هذه الشروط وجب تقدير فعل في معنى اسم التفضيل ليعمل في الاسم الظاهر، ثم مثل المرزوقي لهذه القضية لتكون أكثر وضوحاً بقول الشاعر: (وأضرب منا بالسيوف القوانسا)، وهذا الشاهد دليل على إجماع النحاة على عدم عمل (أفعل) التفضيل النصب، وأن ما جاء من شواهد يوهم فيها جواز ذلك قدر فيها فعل من معنى أفعل التفضيل ليعمل النصب بالاسم الظاهر[2].

ومثل ذلك قولُه في قولِه تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَاته﴾[3].

"لا يجوز أن يكون انتصاب (حيث) على حد انتصابه إذا كان ظرفاً لأنّ علمه تعالى في جميع الأماكن على حدّ واحد لا يدخله التّزايد والتّناقص، وإذا لم [يستقم[4]] حمل أفعل على زيادة علم في مكان فيجب أن يحمل على انتصابه انتصاب المفعول به، ويكون العامل فيه فعلا

[1] شرح الأشموني لألفية ابن مالك: نور الدين الأشموني، تحقيق ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، 2/311.

[2] شرح الأشموني لألفية ابن مالك: 2/312-313.

[3] الأنعام: 124، وقراءة (رسالاته) بالجمع هي قراءة جميع القراء إلا ابن كثير وحفص عن عاصم فقد قرؤوا بالإفراد (رسالته) والمثبت في نسخة الأزمنة والأمكنة القراءة بـ(رسالاته)، انظر: الدر المصون: السمين الحلبي، 5/139.

[4] الموجود في الكتاب (يسقم) وهو خطأ طباعي من أخطاء كثيرة لا تعد ولا تحصى في نسخة (الأزمنة والأمكنة) المطبوعة في دار الكتب العلمية وهي المتداولة بين أيدي الناس.

مضمرا يدلّ عليه قوله: (أعلم) ويحصل الاكتفاء بقوله: اللَّهُ أَعْلَمُ، ثم (أعلم) يدل على (يعلم) مضمر أو التقدير: الله أعلم العالمين يعلم حيث يجعل رسالاته فيختار لأدائها من يصطفيه"[1].

وهذه الآية تضاف إلى البيت السابق من الشواهد التي يستشهد بها النحاة على عدم إعمال اسم التفضيل النصب في الاسم الظاهر بعده، وتقدير فعل من معنى اسم التفضيل، والحكم الإعرابي الذي ساقه المرزوقي في أن (حيث) مفعول به لفعل مقدر من معنى (أعلم) قد أخذه من أستاذه أبي علي الفارسي، وهو التوجيه الذي سار عليه النحاة والمفسرون في الآية الكريمة بعد أبي علي الفارسي[2].

ج- تنازع العاملين:

كان المرزوقي متنبِّهاً للخلاف بين البلدين في العامل الذي يحدث الأثر في المعمول في بعض المسائل ومن أهمها مسألة التنازع، فقد ذهب الكوفيون إلى إعمال الفعل الأول وذلك لأوَّليته في الكلام، أما البصريون فقد أعملوا الثاني لقربه، وكان السماع موافقاً لهم[3]، وقد سار المرزوقي على خطى البصريين في إعمال الفعل الثاني، وكان يصرح بتفضيله مذهبَ البصريين على مذهب الكوفيين، قال في بيت العباس بن مرداس[4]:

إذَا طَالَتِ النَّجوَى بغَيرِ أُولِي القُوَى أضَاعَت وأصغَت خدَّ من هو فارِدُ

[1] الأزمنة والأمكنة: المرزوقي، ضبطه وخرج آياته: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996، ص 80.

[2] انظر: الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين القهوجي، بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1993. 25-1/28. والدر المصون: السمين الحلبي، 137-5/139، ومغني اللبيب: ابن هشام، تحقيق: د. مازن مبارك، ومحمد علي حمد الله، مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة البعث، سوريا، 2005، 176-177

[3] انظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو بركات الأنباري، قراءة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة البعث، 1989، ص71-1/80.

[4] البيت من الحماسية الخمسين بعد المائة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

"وقد جمع بين فعلين في قوله " أضاعت " و " أصغت " فأعمل الثاني، وهو المختار عند أصحابنا البصريين"[1].

وقال المرزوقي في بيت مسجاح بن سباع[2]:

وأفنَـــــانِي ولا يَفنَـــــى نَهَـــــارٌ وليـــلٌ كلَّمـــا يَمضِـــي يَعُـــودُ

"وقوله (أفناني ولا يفنى نهار) جمع بين فعلين على قوله (نهار) لكنه أعمل الثاني وهو المختار"[3].

غير أن المرزوقي يقف في هذا المسألة عند قرينة المعنى، فإذا كان المعنى يقوي إعمال الأول أجازه منبهاً على أن الأجود إعمال الثاني، كما في قوله في بيت أبي الرُّبَيس التغلبي[4]:

هـــل تُبلِغَنِّـــي أمَّ حَـــربٍ وتَقـــذِفَنْ علـــى طَـــرَبٍ بَيُّـــوتَ هـــمٍّ أُقاتِلُـــه

مُبِينَـــةُ عِنـــقٍ حُســـنَ خَـــدٍّ ومِرفَقـــاً بـــه جَنَـــفٌ أن يَعـــرُكَ الـــدَّفَّ شـــاغِلُه

"قوله (على طرب) يجوز أن يتعلق بـ(تبلغني)، ويجوز أن يتعلق بـ(وتقذفن)، والفعلان جمعا على قوله (مبينة عنق) وهي ناقة، والاختيار عند أصحابنا البصريين أن يرتفع بالأقرب، وهو تقذفن، ويجوز أن يرتفع بتبلغني، وعلى هذا: جاءني وأكرمني زيد"[5].

وإذا كان المعنى مناصراً لإعمال الأول وقف عنده دون أن ينبه على رأي غيره، بل يدعمه بشواهد تجيزه، وذلك في شرحه لبيت جزء بن ضرار[6]:

---

[1] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 1/438.

[2] شاعر جاهلي من المعمرين، والبيت من الحماسية الثانية والخمسين بعد المائة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

[3] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 2/1009.

[4] شاعر إسلامي من شعراء تغلب، والأبيات من الحماسية الخامسة والسبعين بعد الأربعمائة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

[5] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 3/1256-1255.

[6] شاعر مخضرم وهو أخو الشماخ بن ضرار، والبيت من الحماسية الخامسة عشر بعد المائة في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

أتَـانِي فلـم أُسـرَر بـه حِـينَ جَـاءَني حــديثٌ بــأعلَى القُنَّتــين عجيــبُ

قال المرزوقي: "وقد اجتمع فعلان أتاني وجاءني، فأعمل الأول، ومثله قول الآخر:

ولَـــم أمـــدَح لأرضِـــيَهُ بشـــعرِي لَئيمـــاً......" [1]

د- تعليق العامل وإلغاء عمله:

ومن القضايا التي أشار إليها المرزوقي وتتعلق بالعامل مسألة تعليق عمل العامل أو إلغاء عمله، و"التعليق، وهو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، والإلغاء هو إبطاله لفظاً ومحلاً"[2]، فكان يبين خلال شرحه ما يعلق عمل أفعال القلوب، قال المرزوقي في بيت زياد الأعجم[3]:

ومَـن أنـتُمُ إنَّـا نسـينا مَـن انـتُمُ ورِيحُكُـمُ مِـن أيِّ ريـحِ الأعاصِـرِ

"قوله (إنَّا نسينا منَ انتمُ) يجوز أن تجعل من استفهاماً، وقد كرّره، وعلّق (نسينا) قبله، وإن لم يكن من أفعال الشكّ واليقين، لأنّه أجراه مجرى نقيضه، وهو عرفت وذكرت؛ وهم يجرون النظير مجرى النظير، والنقيض مجرى النقيض"[4].

فبيَّن أن الاستفهام قد علَّق عمل الفعل (نسينا) في اللفظ، لكنَّه بقي في محل جملة الاستفهام، وبيَّن ما يلغي عمل العامل، وذلك في قوله في بيت أبي كبير الهذلي[5]:

مـــا إنْ يَمـــسُّ الأرضَ إلا جَانـــبٌ منـه وحَـرفُ السَّـاقِ طـيَّ المِحمَـلِ

"(إن) زيد لتوكيد النفي، ويبطل عمل (ما) بانضمامه إليه في لغة من يعمله"[1].

---

[1] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، 1/343. وبيت الشاهد الذي أجازه لذي الرمة، وتمامه: (لئيماً أن يكون أصاب مالا)، انظر: التنبيه على مشكل أبيات الحماسة: ابن جني، تحقيق: د.سيدة حامد عبد العال ود. تغريد حسن عبد العاطي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010، ص121.

[2] شرح الأشموني لألفية ابن مالك: 1/363.

[3] الحماسية السادسة والستين بعد الستمائة من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي، وفي البيت تخفيف الهمز في قوله (من انتم) بحذفها ونقل حركتها إلى ما قبلها

[4] شرح ديوان الحماسة: 3/1539.

[5] البيت من الحماسية الثانية عشر في شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

فقد نبه المرزوقي أن (ما) إن كانت عاملة على لغة أهل الحجاز، فقد أبطل عملها لزيادة (إن) بعدها، وقد اشترط النحاة في إعمالها شروطاً جعلها ابن عقيل ستة، وهي:

1- ألا يزاد بعدها (إن)، فلا يقال: ما إن زيد قائماً.

2- ألا ينتقض نفيها بإلا، نحو: ما زيد إلا قائم، فلا يجوز نصب (قائم).

3- ألا يتقدم خبرها على اسمها وهو غير ظرف ولا جار ومجرور.

4- ألا يتقدم معمول الخبر على الاسم هو غير ظرف ولا جار ومجرور.

5- ألا تتكرر (ما)، فلا يجوز: ما ما زيد قائم.

6- ألا يبدل من خبرها موجب فإن أبدل بطل عملها، نحو: ما زيد بشيء إلا شيء لا يعبأ به[2].

والمرزوقي لم يذكر إلا الشرط الأول.

هـ- الحذف والتقدير:

لا تسير اللغة على نسق واحد جامد بل تكتنفها أحوال عدة تؤثّر في صياغة تراكيبها لتقدم المعنى بصور مختلفة، وهذه الأحوال كالتقديم والتأخير والاتساع والتضمين والحذف والتقدير ترتبط مباشرة بأمرين مهمين أولهما ما ذكرناه من تقديم المعنى في قوالب مختلفة، والثاني تفسير القواعد النحوية لهذه الظواهر، وقد كان للعامل النحوي نصيب وافر في تعليل هذه الظواهر ولاسيما الحذف والتقدير.

وقد اعتنى النحاة بالحديث عن الحذف وأدلته وشروطه، مبينين أسبابه قال سيبويه: "وإنَّما أضمرُوا ما كان يقَع مُظهَراً استخفافاً، ولأن المخاطَب يعلم ما يعني، فجرى بمنزلة المثل، كما

[1] شرح ديوان الحماسة: 1/90.

[2] انظر: شرح ابن عقيل: 303-1/306.

تقول: لا عليكَ، وقد عَرَفَ المخاطبُ ما تعنى، أَنَّه لا بأْسَ عليك، ولا ضَرَّ عليك، ولكنَّه حُذِف لكثرة هذا في كلامهم. ولا يكون هذا في غير عليك"[1].

ولما كانت مفردات اللغة في إطار نظرية العامل النحوي لا تعدو أن تكون إلا عاملة أو معمولة ووجد النحاة في تراكيب اللغة كثيراً من الحذف كأن تكون الكلمة عاملة ولم يظهر معمولها، أو معمولة ولم يظهر عاملها على مستوى النص الظاهر، اضطروا إلى تقدير المحذوف وافتراض وجوده نحوياً لسلامة التركيب وتطبيقاً للقواعد.

وقد رأى الدكتور علي أبو المكارم أن الحذف والتقدير "يلتقيان أولاً في أن كلاً منهما أسلوب من أساليب التأويل النحوي للنصوص اللغوية المخالفة للقواعد النحوية، ويتفقان في بعض مواضع الحذف، إذ يتحتم فيها تقدير المحذوف دون أن يكتفى بإعادة سبك النص الموجود أو افتراض إعادة صياغة المفردات. ويختلفان في:

أولاً: أن الحذف عند النحاة يقتصر على حالة حذف العامل، سواء بقي معموله على ما كان له من حكم إعرابي أو تغير ليتسق مع وضعه التركيبي الجديد. أما التقدير عند النحاة وكما تحدده تعريفاتهم فإنه يتناول محذوفات أخرى غير العامل، فهو يتناول حذف المعمول، وكذلك حذف الجملة بأسرها، أي العامل والمعمول معاً.

ثانياً: أن الحذف عند النحاة مقصور على حالة افتراض سقوط أجزاء معينة من النصوص اللغوية المؤولة، هي العوامل. أما التقدير... فإنه يشمل أيضاً حالات أخرى لا حذف فيها، بل كل ما فيها هو افتراض إعادة صياغة المفردات أو الجمل أو سبكها بهدف تصحيح الحركة الإعرابية".[2]

[1] الكتاب: سيبويه، ص1/224.

[2] الحذف والتقدير في النحو العربي: د. علي أبو المكارم، ص 209.

وقد تنبه المرزوقي خلال شروحه للشعر وبعض آي القرآن الكريم لمواضع الحذف وأثرها في سبك النص، فكان يسعى لتبيان المحذوفات وتقديرها وبيان عملها، أو أن يبين ما عملت به، وقد كان التقدير عنده يسير بمنحيين، أولهما:

مراعاة الصناعة النحوية:

كان المرزوقي يسير بهدي القواعد النحوية والأصول المقررة فيطبقها على النصوص الشعرية في شرحه، من ذلك قوله في بيت قريط بن أنيف[1]:

إذاً لقَــامَ بنَصــرِي مَعشَــرٌ خُشُــنٌ عنــدَ الحفيظَــةِ إن ذُو لُوثــةٍ لانَــا

"وقوله إن ذو لوثة يرتفع ذو عند حذاق النحويين بفعل مضمر، الفعل الذي بعده تفسيره، وهو (لان). والتقدير: إن لان ذو لوثة لانا. وإنما قالوا هذا لأن (إن) لما كان شرطاً كان بالفعل أولى، وعمله الجزم فيجب أن لا يفارق معموله في اللفظ والتقدير"[2].

فقد قدر المرزوقي فعلاً رافعاً للفاعل (ذو) لأن أدوات الشرط تدخل على الأفعال، فلما جاءت الأداة (إن) وبعدها اسم كان لا بد من تقدير فعل حتى تستقيم القاعدة، قال السيرافي: "قال سيبويه: (وأعلم أنه لا ينتصب شيء بعد " إن " ولا يرتفع إلّا بفعل لأنّ " إن " من الحروف التي يبنى عليها الفعل). يعني أنّ " إن " التي للمجازاة إنما تدخل على الأفعال؛ لأن الأفعال التي بعدها هي شروط والشروط لا تكون بالأسماء، وذلك أنها بحدوثها توجب المعاني التي ضمّنها الشرط كقولك: " إن تأتني أكرمك " فالإكرام معنى قد ضمّنه الشارط بحدوث الإتيان، فإذا رأيت الاسم بعد " إن " مرفوعا أو منصوبا قضيت على إضمار فعل رافع أو ناصب"[3]، والأخفش والكوفيون يتجاوزون هذه القاعدة ويجعلون الاسم الظاهر مبتدأ وبذلك لا يكون هنالك تقدير لعامل محذوف، لكن المرزوقي يسير على مذهب البصريين.

---

[1] الحماسية الأولى من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

[2] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، ص1/26.

[3] شرح كتاب سيبويه: السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2/2008.161.

ومن أمثلة تقدير المحذوف تبعاً للصناعة النحوية ما قاله المرزوقي في بيت الأعرج المعنى[1]:

نحنُ بَنِي ضَبَّةَ أصحَابُ الجَمَلْ

"وانتصاب (بني ضبة) بفعل مضمر، والقصد فيه المدح والاختصاص. وخبر المبتدأ الذي هو نحن (أصحاب)، والتقدير: نحن – أذكرُ بني ضبة – أصحابُ الجمل"[2].

فقد بين المرزوقي أن (بني) مفعول به محذوف لفعل مقدر من معنى الكلام، وهذا الفعل تقتضيه الصناعة النحوية، فلا يوجد معمول دون عامل، وهذا العامل يؤدي معنى الاختصاص، وقد عرَّف ابن هشام المنصوب على الاختصاص بقوله: "وهو اسم معمول لـ(أخصّ) واجب الحذف"[3]، فلما كان هذا العامل المحذوف مقدراً في الذهن واجباً للحذف في القواعد كان لا بد من تقديره مع النص حتى يستقيم المعنى للمتلقي، لكن المرزوقي قدر العامل المحذوف بالفعل (أذكر).

ومن أمثلته أيضاً ما قال المرزوقي في بيت سلمة بن الخرشب[4]:

وتُمكِنُنَا إذا نحنُ اقتنَصنَا مِنَ الشَّحَّاجِ أسعَلَهُ الجَحِيمُ

"قوله (أسعله الجحيم) موضعه من الإعراب أنه حال للشحاج، والأجود أن تجعل معه (قد) مضمرة ليبتعد بـ(قد) عن لفظ المضي، كأنه قال: من الشحاج وهذه حاله"[5].

فالمرزوقي يذهب مذهب البصريين في أنه لا يجوز أن تكون جملة الحال فعلها ماض إلا إذا كان معه (قد) لأنها تقربه من الحال، قال العكبري: " الْفِعْل الْمَاضِي لا يكون حَالا إلاَّ بـ(قد)

[1] الحماسية الثامنة والثمانون من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

[2] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، ص 1/292.

[3] أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، دمشق، 4/66.

[4] المفضلية الخامسة من شرح المفضليات للمرزوقي.

[5] شرح المفضليات: المرزوقي، ص 96.

مظهرة أَو مضمرة كَقَوْلِك: جَاءَ زيد ركب، لأَنَّ الْحَال إِمَّا مُقَارنَة أَو منتظرة، والماضي مُنْقَطع عَن زمن الْعَامِل وَلَيْسَ بهيئة فِي ذَلِك الزَّمَان، و(قد) تقربه من الْحَال"[1]، أمَّا الكوفيون فكانوا يجيزون مجيء الحال فعلاً ماضياً دون قد ظاهرة أو مضمرة، وبذلك لا يلجؤون إلى التقدير.

مراعاة المعنى:

قد يكون النص الظاهر فيه حذف، وهذا الحذف راجع لأغراض بلاغية يقتضيها المعنى، فيعمد المرزوقي خلال شرحه إلى تقدير المحذوف وإظهاره، من ذلك قوله في بيت جعفر بن علبة الحارثي[2]:

ولَكِــن عَرتنِــي مِــن هَــواكِ صَــبَابَةٌ كمَـا كنـتُ ألقَـى منـكِ إذْ أنَـا مُطلَـقُ

"والتقدير عرت صبابة تشبه صبابة كنت أكابدها فيك في ذلك الوقت، كأنه شبه حاله فيها بعد ما مني به بحاله من قبل، ومفعول (ألقى) محذوف تخفيفاً له، أراد كما كنت ألقاه منك"[3].

فالمرزوقي يحاول تقديم المعنى من خلال تقدير المحذوف وتأويل معاني الأدوات، فبدأ أولاً بتقدير معنى الأداة (الكاف) فبين أنَّ معناها التشبيه، وقدَّر معناها بـ(صبابة تشبه صبابة)، ثم التفت إلى الفعل (ألقى) الذي حُذِفَ مفعوله فهو عامل ويحتاج إلى معمول يقع أثره عليه، وبين أنَّ المفعول وهو معمول الفعل محذوف والقصد منه التخفيف، وهذا الحذف لغرض بلاغي.

ومن ذلك أيضاً ما قاله المرزوقي في بيت (ذو الإصبع العدواني)[4]:

عِنــدِي خَلائِــقُ أقــوَامٍ ذَوِي حَسَــبٍ وآخــرونَ كثيــرٌ كلُّهُــم دُونِــي

"قوله (وآخرون كثير) محمول على المعنى، وارتفع بالابتداء، و(كلهم) يرتفع بالابتداء أيضاً، و(دوني) خبره، والجملة في موضع الصفة لـ(آخرون)، وخبر (آخرون) محذوف كأنه قال:

[1] اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري، ، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، 1995م. 1/293.

[2] الحماسية السادسة من شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.

[3] شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، ص 55-1/56.

[4] المفضلية الرابعة والعشرون من شح المفضليات للمرزوقي.

وآخرون بهذه الصفة عندي أخلاقهم أيضاً"[1] فلما كانت مهمة المرزوقي تقديم المعنى كاملاً مع إظهار الوظائف النحوية للمفردات شرع يبين كل أركان الجمل من مسند ومسند إليه ليربط أجزاء الجمل بعضها ببعض، ثم بين أن المبتدأ (آخرون) خبره محذوف مفهوم من سياق الكلام وبين تقديره.

نتائج البحث:

لعلنا بعد ما عرضناه من صور لتناول المرزوقي لفكرة العامل وتطبيقها على النصوص اللغوية خلال شروحه نصل إلى عدة نتائج وهي:

1- لم يشر المرزوقي إلى قسمة العوامل إلى لفظية أو معنوية، ولم يقسم العوامل اللفظية إلى ظاهرة أو مقدرة، لكن عبارة المرزوقي كانت توحي بهذه القسمة دون تصريح.

2- كان المرزوقي يشير إلى العامل اللفظي الظاهر في النص ويبين أثره في المعمول، وإذا كان العامل مقدراً يذكره في شرحه ليبيّن الذي عمل في اللفظ فأثر فيه.

3- تنبَّه المرزوقي خلال شروحه للعوامل الفرعية فكان يذكر شروط عملها ليبين مدى تأثيرها في المعمولات.

4- كان المرزوقي متنبهاً للخلاف بين البلدين في العامل الذي يحدث الأثر في المعمول في بعض المسائل ومن أهمها مسألة التنازع، وقد كان قوله في هذه المسألة موافقاً لمذهب البصريين في أغلب الأحيان إلا في بعض المواضع التي اقتضى المعنى فيها موافقة مذهب الكوفيين في إعمال العامل الأول.

5- أشار المرزوقي في شروحه إلى قضية إلغاء عمل العامل حسب ما أقره النحاة، فكان ينبه على العامل الملغى عمله، أو العامل المعلق عن العمل.

[1] شرح المفضليات: المرزوقي، ص 481.

6- تنبه المرزوقي خلال شروحه للشعر وبعض آي القرآن الكريم لمواضع الحذف وأثرها في سبك النص، فكان يسعى لتبيان المحذوفات وتقديرها وبيان عملها، أو أن يبين ما عملت به.

مصادر البحث ومراجعه

Research sources and references

1- القرآن الكريم

2- ابن يعيش النحوي: د. عبد الإله نبهان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997،.

3- الأزمنة والأمكنة: المرزوقي، ضبطه وخرج آياته: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1996.

4- إنباه الرواة على أنباه النحاة: القفطي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1.

5- الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو بركات الأنباري، قراءة وتعليق محمد محيي الدين عبد الحميد، مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة البعث، 1989.

6- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، دمشق.

7- البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، 1420هـ.

8- تاج العروس: الزبيدي، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، 1971.

9- التعريفات: الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983.

10- تمهيد القواعد شرح تسهيل الفوائد: ناظر الجيش، تحقيق: د. علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام، مصر، ط1، 1428هـ.

11- التنبيه على مشكل أبيات الحماسة: ابن جني، تحقيق: د.سيدة حامد عبد العال ود. تغريد حسن عبد العاطي، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010.

12- الحجة للقراء السبعة: أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين القهوجي، بشير جويجابي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط2، 1993.

13- الحذف والتقدير في النحو العربي: د. علي أبو المكارم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007.

14- الدر المصون: السمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

15- الرد على النحاة: ابن مضاء القرطبي، تحقيق: د.محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، 1979.

16- شرح ابن عقيل: ابن عقيل الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.

17- شرح الأشموني لألفية ابن مالك: نور الدين الأشموني، تحقيق ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

18- شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب: ابن الحاجب، تحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، السعودية، ط1، 1997م.

19- شرح ديوان الحماسة: المرزوقي، تحقيق: أحمد أمين، عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

20- شرح شذور الذهب: ابن هشام، تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة ، سوريا.

21- شرح كتاب سيبويه: السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2008.

22- الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط3، 1988.

23- اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري، تحقيق: د. عبد الإله نبهان، دار الفكر، دمشق، 1995م.

24- مراجعات في النحو العربي: د.محمد عبدو فلفل، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2018.

25- معاني القرآن: الفراء، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1.

26- مغني اللبيب: ابن هشام، تحقيق: د. مازن مبارك، ومحمد علي حمد الله، مديرية الكتب والمطبوعات في جامعة البعث، سوريا، 2005.

27- نحو التيسير دراسة ونقد منهجي: د. أحمد الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1984.

المخطوطات:

1. شرح المفضليات: المرزوقي، مخطوط مكتبة برلين، رقم 7446.